ردا على الملاحدة والعلمانيين

فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى

إعـداد

عطية الدسوقى عمر

محمد عبد الله بـدر

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار مع فضيلة الشيخ الشعراوى
حول العلمانية وفلسفة التنوير

الفصل الأول

مقدمة

لم يعد خافيا على أى مراقب «لحركة الأحداث التى يشهدها عالم ما بعد انتهاء الحرب الباردة» «أن الانهيار الذى ضرب فى كل جنبات المعسكر الشيوعى» قد انتج انفراداً للولايات المتحدة الأمريكية -أو على الأصح انفراد الحلف الصهيونى الغربى بزعامة أمريكا- وما تبع ذلك من محاولات إعادة ترتيب الأوراق.. وتوزيع مناطق النفوذ وفرض السيطرة والتسلط وفقا لمقتضيات المصالح الصهيونية أو وفقاً «للسيناريو» الصهيونى المعد سلفا.. والذى يحكم ويتحكم فى حجم أدوار ممثليه ومساحة حركتهم.. وما يقتضيه ذلك من تغيير وتبديل فى نوعية هؤلاء الممثلين وهويتهم.. بدءا من أصحاب الأدوار الرئيسية، ومرورا بأصحاب الأدوار الثانوية «الكومبارس»، وانتهاء بأولئك المتعلقين بأهداب ستائر المسرح بحثا عن دور.. حتى ولو كان مجرد ربط حركتهم بحركة الستار.. إزاحة لإبراز مشهد ما.. أو إسدالا على آخر.. يحقق أحدهما أو كلاهما خطوة فى اتجاه تحقيق الحلم الصهيونى القديم بالقفز على قمة

السلطة فى العالم والإمساك بمفاتيحه وإدارة حركته تبعا للرؤية المصلحية الصهيونية.

ذلك الحلم الذى استخدمت الصهيونية -وعلى مدى تاريخها- فى سبيل تحقيقه كل الأسلحة.. غير المشروع منها قبل المشروع.. واللاأخلاقى منها قبل الأخلاقى.. بدءا من الترويج لتجارة النساء والمخدرات والتربح منهما.. وانتهاءً بامتلاك السلاح النووى.. وما صاحب ذلك كله من ارتكاب أبشع المجازر التى عرفها التاريخ الإنسانى..

حقيقة.. الحلم الصهيونى على مشارف الوصول إلى غاياته.. صار أكثر اقترابا من الاكتمال والسيطرة.. وباتت قمة السلطة فى العالم قريبة من متناول يده.. بعد التحول الخطير من الصراع التاريخى والدينى الدموى بين المسيحية «الغربية» واليهودية إلى التحالف الاستراتيجى بينهما.. لعله كان سبباً أو نتيجة لقيام حركة أطلق عليها مسمى «الحركة الصهيونية المسيحية»(*).. يؤمن مدعوها ومعتقدوها بأن عودة المسيح وتحقيق السلام على الأرض رهن بتحقيق الشروط التالية:

أولا: دعم الكيان الصهيونى فى فلسطين حتى يتحقق مشروع «إسرائيل

---

* مصطلحات المسيحية الصهيونية، والمسيحيون الصهاينة، الصهيونى المسيحى.. إلخ يقصد بها الحركة السياسية التى نشأت فى الغرب ذات الأساس العقائدى التوراتى والمعرفة باسم «المسيحية الصهيونية» وهى حركة تعتقد بأن قيام إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات شرط لعودة المسيح.

ولم نقصد بأى من هذه التعبيرات أن هناك تحالفاً بين المسيحية عموما وبين الصهيونية أو بين الصهاينة وبين المسيحيين «ومنهم إخوان لنا فى الوطن كانوا على طول تاريخهم سنداً.. وظلوا يؤمنون بأنهم مسيحيون ديانةً ومسلمون وطناً».. ونأمل أن يكون هذا واضحاً من خلال الصياغة التى اجتهدنا فى تحديد مصطلحاتها.

الكبرى» من النيل إلى الفرات.

ثانياً: تمكين اليهود الصهاينة من السيطرة على القدس وإعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى.

ثالثاً: ضرورة قيام معركة فاصلة فى فلسطين فى موقعة أطلقوا عليها اسم «هرمجدون».

وقد قدم ممثلو هذه الحركة من المسيحيين إلى الرئيس الأمريكى «ريجان» وإلى أعضاء الكونجرس مذكرة.. تحت اسم «المنتدى الأمريكى للتعاون المسيحى- اليهودى» فى ١١ من نوفمبر عام ١٩٨٢ ادعوا فيها:

«أن الله أعطى أرض إسرائيل للشعب اليهودى، وأن الكتاب المقدس يرسم حدود دولة إسرائيل، وهى تتجاوز حدودها القائمة».

وكما كان حديث «مارجريت تاتشر» -وقت أن كانت رئيسة لوزراء بريطانيا- عن الإسلام باعتباره العدو القادم للغرب بعد سقوط الشيوعية يعنى فى دلالته مايلى:

١- أن هناك تراجعاً بالغاً من الجانب المسيحى «فى عملية صنع القرار» لصالح الصهاينة اليهود وذلك فى إطار الحلف الإستراتيجى بينهما.

٢- أن السيطرة فى المرحلة الحالية والقادمة دانت لليهود الصهاينة، وبذلك يكون اللوبى الصهيونى قد تجاوز مرحلة التأثير فى صناعة القرار فى الدول الغربية وأمريكا إلى مرحلة التحكم والتوجيه.

٣- أن ذلك يعنى إعلاناً محدداً.. بالغ الوضوح والدلالة.. على أن طرفى الصراع العالمى المقبل هما: الصهيونية العالمية.. فى مواجهة الإسلام.. العالمى أيضاً.

وإن ما يجرى الآن على أرض البوسنة والهرسك المسلمة فى أوروبا «فى منطقة البلقان».. من عمليات الإبادة الجماعية والتطهير العرقى للمسلمين هناك وإجهاض الحوامل «لتطهير أرحامهن من المنتسبين إلى محمد» -على حد تعبير الصرب .. «المسيحيين الصهاينة»- ومعاودة اغتصابهن على مسمع ومرأى من العالم كله ومنظمته الدولية الغربية الأمريكية والمعروفة باسم «الأمم المتحدة»!!.. وأيضا ما يجرى فى «منطقة القوقاز».. فى أرض جمهورية الشيشان المسلمة من تدمير شامل من قبل القوات الروسية.. وما شابههما أو تفوق عليهما من مجازر بشعة تقع فى فلسطين والجنوب اللبنانى فى قلب العالم العربى.. كل ذلك لهو أبلغ دليل على أن العداء الشرس للإسلام ليس مجرد فكرة نظرية تسكن خيال أتباع الحلف الصهيونى المسيحى فقط.. بل هو واقع عملى تطبيقى.. هذا الواقع العملى التطبيقى جاء فاضحا لزيف الحضارة الغربية.. الحضارة التى تفيض رقة وشفقة على «كلب خُدش».. أو «قطة جاعت».. وتلقى فى ذات الوقت فائض غذائها فى قاع المحيط.. حتى لا يطعمه إنسان جائع.

الجديد فى الأمر أو الغريب والمدهش فيه هو ذلك التحول الخطير فى العداء المسيحى من اليهودية إلى الإسلام.. وأن يصبح اليهود الذين كفروا بالمسيح وقذفوا أمه «العذراء البتول» بالزور والبهتان.. أعداء الأمس هم حلفاء اليوم.. ويكون العداء موجها للمسلمين المؤمنين بالمسيح والذين جاء كتابهم المعجز والخاتم مبرئاً السيدة مريم ومكرماً لها **﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾** وانتقال العداء على هذا النحو يعنى فى جوهره أن الأمر ليس وليد معتقد دينى ولكنه فى حقيقته سعى إلى السلطة الزمنية.. وفرض الهيمنة.. و القهر..

والاستغلال.. والتبعية.. على كل شعوب الأمة الإسلامية والعربية.

ثمة خصائص وظواهر تعطى تميزاً لشكل الصراع العالمى المقبل، وخصوصية لمضمونه عن كل ماسبقه من صراعات شهدها العالم نوجزها على النحو التالى:

١- إنه صراع مرتكن إلى معتقدات دينية.. مما يعطى للعقيدة الدينية لأى من الطرفين -الإسلامى والصهيونى- الدور الرئيسى.. الباعث.. والدافع.. والمحرك.. والطاقة.. والقدرة على الاستمرار فى مختلف مراحل الصراع.

٢- العالمية والشمولية.. نتيجة لتجاوز الامتداد الأفقى والقاعدى لكلا العقيدتين الحدود الجغرافية لدولة أو لدول أى منهما.

٣- إن هذا الامتداد الأفقى وشيوع وتداخل معتنقى كلا المعتقدين فى باقى شعوب العالم ودوله.. سوف يمثل عاملا مهما ومؤثراً فى جذب أطراف أخرى إلى ساحة الصراع.. كقوة مضافة إلى هذا المعتقد أو ذاك.

٤- العمق التاريخى والمعرفى.. وخبرة كلا الطرفين بالآخر.. حيث إن الصراع بينهما تمتد جذوره إلى أكثر من أربعة عشر قرناً.. منذ بعث الله رسوله «محمد صلى الله عليه وسلم».

٥- الحقيقة المستقرة فى عقل ووجدان الطرف الصهيونى الغربى مفادها: أن مقومات حسم الصراع.. ومفتاح النصر والغلبة فيه.. هو دائماً فى حيازة الطرف الإسلامى إذا لم يغب ذلك عن وعيهم.. ولم يغفلوا عنه.. وأن يؤدوا مطلوبه.. ذلك المفتاح هو «الإسلام».. فلكى

ينتصر المسلمون.. لابد أولاً أن يكونوا مسلمين.

ومن منطلق وعيهم وإدراكهم الكامل لتلك الحقيقة.. لم تتوقف موجات الغزو.. ومحاولات الاختراق للأمة الإسلامية «عقلاً وقلباً» على طول التاريخ الإسلامى بدءاً من «المنافقين» الذين كانوا جيب الاختراق الأول، ومروراً بالدور الذى قام خلاله المستشرقون بالالتفاف حول الأمة الإسلامية من الخارج فى إطار تقديم المعاونة للحملات الصليبية التى استهدفت الهيمنة والسيطرة على الأمة العربية والإسلامية.. وذلك بدراسة الإسلام.. لغة.. وقرآنا.. وكانت المهمة التى اضطلع بها المستشرقون إيجاد ثغرة فى العقل الإسلامى تؤدى إلى زعزعة عقيدته وتصبح مهمة جنود الاحتلال الصليبى سهلة ميسورة.. وجرى بعد ذلك ما جرى.

وانتهت فكرة الاستشراق إلى بوار وفشل.. لتبدأ مرحلة جديدة نعيشها الآن، تشهد محاولات ترويج موجة فكرية أخرى أطلق عليها مسمى العلمانية «نسبة إلى فصل سلطة الكنيسة عن حركة الحياة».. وقد حملت تلك الموجة العلمانية فى يمينها خلاصة التجربة الأوربية التى حطمت بها قيود الكنيسة التى كبلت عنق حركة الحياة الأوربية فى فترة ظلمتها والتى اصطلح على تسميتها «فلسفة التنوير».. وحملت فى يسارها مصطلح «الدنيوية» أى الانشغال والاشتغال بأمور العالم ودنياه دون الاكتراث بما بعد الموت.

لقد جاءت فكرة تجسيد الدنيوية والعلمانية فى الغرب محرضة على الاستغراق فى متع الدنيا الحسية والمادية.. وإشباع غرائز الإنسان.. وجرفت فى طريقها كل الضوابط والمعايير الأخلاقية فنتج عن ذلك أن

أطلقت كل شرور النفس البشرية وانفلتت من معاقلها بعد أن غيبت عن العقول والأذهان فكرة البعث بعد الموت.. وبعد أن تلاشت من الوجدان قضية الإيمان بالآخرة والعذاب والعقاب.. وأدى ذلك كله فى مجمل محصلته إلى حالة التصدع الإنسانى والاجتماعى الشديد فى البناء الحضارى الغربى واختزالها وقصرها على رقى حضارى للأجهزة والآلات.. وتخلف للقيم الإنسانية النبيلة.. مما حدا بكثير من الأصوات والأقلام فى الغرب أن تصرخ محذرة ومنذرة بقرب الانهيار للحضارة الغربية برمتها.

وهذا مايسعى الحلف الصهيونى إلى تصديره إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية عن طريق ثغرة العلمانية أو «جيب الاختراق العلمانى».. متسترا تارة خلف ما أسموه إطلاق حرية الإبداع.. وتارة أخرى خلف الدعوة إلى إطلاق الحرية الشخصية والاستماتة فى محاولات إبعاد الضوابط الدينية الأخلاقية عن مجالات الفكر والفن والثقافة التى من المفترض أن تؤدى الدور الرئيسى فى صياغة عقل الأمة وترشيد وعيها بما يتفق مع مراد الله لأبنائها فى أن يكون نموذجهم الفكرى والثقافى والتربوى والسلوكى يدور فى فلك «يخشون ربهم بالغيب» حفظا ومناعة.. ذلك النموذج وما يشيعه ويرسخه فى نفوس المسلمين من قيم دينية وضوابط أخلاقية كان دائماً هو حصن الأمة الذى انسحقت على أبوابه كل محاولات الاختراق والهيمنة والسيطرة على طول تاريخها.

وإذا كنا ندرك سعى العلمانيين لتحقيق ذات الأهداف التى فشل المستشرقون فى تحقيقها، فإنه للحقيقة لابد أن نعترف أن المستشرقين كانوا أكثر إنصافاً للإسلام من العلمانيين.

إن ما يدعو إليه العلمانيون من فصل الإسلام عن السياسة -السياسة التى هى فى جوهرها «القواعد التى تحكم إدارة شئون حياة الأمة»- هى محاولة يائسة وفاشلة لقبر الإسلام .. إما بين حنايا الضلوع.. مشاعر.. أو داخل جدران المساجد.. شعائر..!!

وذلك تناقض مع الإسلام.. وخلاف مع أصوله.. ومعوق لمهمته والتى جاء منهجه بقواعد وشرائع لتنضبط عليها حركة الحياة كلها فى إطار دوائر الإسلام الثلاث:-

الدائرة الأولى : افعل.

الدائرة الثانية: لاتفعل.

الدائرة الثالثة: المباح.. أى الذى يصح إذا فعل على أى وجه.

إن هذا الدور.. والقصد العلمانى يخرج بالخلاف.. من إطار خلاف بين العلمانيين والمسلمين إلى خلاف بين العلمانيين والإسلام.. إذ أن الخلاف هنا ليس خلافا على كيفية تطبيق القواعد الإسلامية.. بل هو خلاف مع تلك القواعد ذاتها..

وإذا كانت العلمانية جاءت لتكون بمثابة الوعاء الذى يحتضن فى داخله كل التيارات الفكرية والفصائل التى تناقض فكرة الدين «من الوجودية إلى الماركسية»، فإننا نود أن نشير إلى ثلاث ملاحظات بالغة الدلالة على الأداء العلمانى:

١ - إن العلمانيين لم يستنكروا.. مجرد الاستنكار.. بل لم يكترثوا للمذابح التى تجرى للأطفال والنساء المسلمين فى البلقان والقوقاز حتى ولو من باب حقوق الإنسان.

٢ – لم يتوقف صراخ العلمانيين باتهام الإسلام بأنه لا يقبل الآخر ويسعى إلى نفيه (وهو كلام باطل بطبيعة الحال).. وهاهم العلمانيون يضبطون متلبسين بارتكاب تلك الجريمة.. إذ هم الذين يسعون الان لنفى الإسلام.. ففى كل أحاديثهم عن الديمقراطية كانوا يستثنون الإسلام والآن يسعون إلى استئصاله.

٣ – لقد كان شعار «مناصرة المستضعفين» والذى تخفى العلمانيون خلفه فى الخندق الشيوعى طوال سنوات عدائهم لنفس الحلف الغربى «الامبريالى.. المستغل» على حد وصفهم.. فلما انهارت الماركسية وانفرطت حبات عقد النظام الشيوعى وبرز الإسلام كنقيض وعدو لكل قوى الاستغلال والهيمنة تلك.. كان البديهى والواجب أن يقف العلمانيون الشيوعيون فى الخندق الإسلامى حتى ولو عملاً بقاعدة «عدو عدوى صديقى» وخصوصاً أن ذلك الحلف الصهيونى الغربى لم يتخل عن أطماعه فى استغلال الشعوب المستضعفة.. بل صار أكثر شراسة.. وتعطشاً لدماء هؤلاء المستضعفين.. ولكن الحاصل أن العلمانيين نقلوا خصومتهم وتناقضهم إلى الإسلام.. ولو كانوا يعقلون لأدركوا أنهم شركاء وطن مستهدف من قوى البغى الصهيونى الغربى.. فكان يجب عليهم أن يكونوا إسلاميين.. ليس تدينا كما أسلفنا، ولكن باعتبار أن الإسلام هو الوعاء الحضارى الذى كان وسيظل القادر على صدّ.. ورد.. وردع.. كل هجمات قوى البغى والطغيان والهيمنة للحلف الصهيونى الغربى.. دفاعاً عن الوطن حدوداً.. ووجودا.

إننا لن نكتفى بأن نلعن ظلام العلمانية وجهلها، بل سنحمل مشاعل

العلم.. وسنضـــىء مصابيح المعـرفة.. أمــلاً فى أن تنير بصائر العلمانيين وبصيرتهم، ومن منطلـق وعينا وإدراكنـا أن ظلام الجهـل فى العالم كلـه ليعجز عن أن يحجب شــاعاً من أشعة شمسُ الله.. شمـس الإسلام التى سطعت وغمر نورها كل جنبات الكـون منذ أربعة عشر قرنا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ولهذا سعينا إلى الاستنارة بمصباح من مصابيح الله.. أنعم الله به على أمـة الإســلام فى زمــاننــا.. **فضيلـة الشيـخ الجليـل محمـد متـولى الشعراوى**.. ورغبــة فى طـرح الـرؤية الإســلاميـة للعلمانيـة وفلسفـة التنوير.. كان هذا الحوار..

سؤال: فى بلادنا علمانيون يدعون للتنوير..

«**الشيخ الشعـراوى مقاطعـاً**»: هم أخـذوا التنوير من هنــاك «من الغرب» وقالوا إن التنـوير كان طابعا لحضارة أوروبـا فترة انتقالها من الظلمة والتأخر.. ولذلك هم قرنوا التنوير بإلغاء سلطة الدين والكنيسة.

أى أصبح التنـوير عندهـم هو أن نلغى فكرة الـدين حتى لا نحـد من انطلاق العقل.

سؤال : يقولون إنها الفلسفة التى قادت النهضة الأوروبية..

الشيخ الشعراوى مقــاطعاً: إن هذه الفلسفــة التى قــادت النهضة الأوروبية جاءت نتيجـة تسلط الكنيسة التى حجـرت على العقول والتى جعلت لغة التعامل مع أى مفكر فى الكون «لمجرد أنه مفكر» إما الجلد وإما الحبس وإما القتل.

فلما جــاء ما سمــى بالتنـوير وأبطـل هذا التسلـط وهذا الحجـر على

العقول.. حدث التقدم..

وهم يريدون منا أن نفعل هذا..

سؤال : نعم هم يريدون أن نفعل هذا ويرشحون هذا الفكر لقيادة نهضتنا العربية والإسلامية..

الشيخ الشعراوى : عندما سيطرت الكنيسة.. حجرت على العقول..أليس كذلك؟! فلما انحل سلطان الكنيسة أو تسلط الكنيسة على العقل.. انطلق العقل.. فجاءت الحضارة «كلام سليم قوى» وأنتم ماذا تريدون منا أن نفعل؟ تريدون منا فى المقابل أن نلغى سيطرة الدين حتى نتقدم مثلهم «عال قوى»، وأيضا نحن نقول لهم: تعالوا.. كونوا منصفين حتى فى إجراء المقابلة.. هناك دين وهنا دين آخر.. تلك واحدة.

والثانية: تسلط الكنيسة باسم دينهم هو الذى حجر على العقول وحرّم البحث فى الكونيات..

فهل حجر ديننا على انطلاق العقل فى علوم الكونيات؟؟ لا.. بل حثه وحرضه على ذلك.. «قل سيروا فى الأرض فانظروا..» والعلم عندنا نوعان.. والعلم معناه الوصول إلى قضية يقينية.. واقعة.. وعليها دليل.

والعلم نوعان كما قلت: نوع فى الكون.. ونوع من المكوّن.

أما النوع الذى فى الكون.. فالعقول ستلتقى فيه ولو غصبا عنها.. لأنه ناشىء عن تجربة معملية لا تجامل.. ولذلك يتحد فيها الخصوم بدليل أنه لا توجد «كهرباء روسى وكهرباء أمريكانى» و«لا كيمياء إنجليزى ولا كيمياء ألمانى» كلها قوانين واحدة.. لأنها كما قلنا نتيجة التجربة المعملية التى لا تجامل.

فما موقف الإسلام من التجربة المعملية التى لا تجامل؟؟ الإسلام حرض العقول وحثها على الانطلاق فى التجربة المعملية كما تحب ولا قيود على حركتها.. لماذا؟

لأن البحث فى الكونيات سيكون أصلاً لتصديق الأمور غير الكونية.. ستهدينا إلى أن هناك إلهاً.. إلها يأمرنى بماذا؟ يقول لك أنا لا آمرك إلا بشىء يضمن وحدة الحركة فى الوجود.

أى لا يوجد واحد يبنى وواحد يهدم.. وواحد يبنى وواحد يهدم هذه لأى الأشياء تخضع؟ «تخضع لأهوائهم!».

ويكون ذلك مرادا ومقصدا للدين.. أن يخرج العقل من مسألة الانطلاق فى الأهواء.. لأن كل واحد سيكون له هوى.. ومادام كل واحد سيكون له هوى.. إذن سنختلف.. ومن هنا الأمور التى ستفسدها الأهواء.. حكمها الإسلام بالتشريع: «افعل ولا تفعل».

أما الأمور التى سيدعونا الهوى لأن نلتقى فيها.. تركها الدين.. لأننا كما قلنا سنلتقى فيها ولو غصبا.

ولذلك نحن قلنا: الآية القرآنية فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جُدد بيض وحمر مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سودٌ ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانهُ كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ..﴾

انظر **﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾** أمر لا دخل للإنسان فيه.. لكن ساعة إخراج الثمرات.. فللإنسان فيها دور «يبذر ويحرث

ويزرع» قال:

﴿فأخرجنا﴾.

﴿ فأخرجنا به ثمرات كل شيء﴾ هذا هو علم النبات

و﴿من الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب

هذا هو علم الجماد.

﴿ومن الناس﴾ هذا هو علم الناس والإنسان.

﴿والدواب﴾ هذا هو علم الحيوان.

ولذلك لم يأت هنا بحكم شرعي إطلاقا.. لأنها آيات كونية.. الله أنزل من السماء ماء وحصل منه كيتَ وكيتَ «عطاء ربوبية».

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾ لأنهم سيهتدون إلى أن كل ذلك لا يمكن أن يأتي وحده بدون موجد.

وأيضا لأن البحث فى الكونيات هى العمدة فى الدين.. لأنها هى التى ستثبت وجود الإله.. الذى سنأمنه على مصالحنا.. والذى قال ما ستفسده الأهواء.. أحكمه أنا.. لأننى لو تركتها لك لفسدت السموات والأرض..

فماذا فعلت أوروبا؟

قالت للدين ولرجل الدين: لا تتدخل فى الكونيات «لأنه كان يقيدها».. وقالت لعلماء الكونيات: لا تتدخلوا فى الدين.

وهذا ما جاء به الإسلام، فرغ العقل لأمور كفاحه فى الأرض.

وقال رجل الدين: لا تتدخل فى علوم الكونيات لأنها هى التى ستعطيك

...انى.

...نسائل الذين يـريدون منا تقليد أوروبا.. نسألهم: وهل ...ة على العقل عملا دينيا؟؟

...ضوا هـذه الفلسفة فى عبارة تقول: «إنـه لا سلطان على العقل إلا للعقل».

الشيخ الشعراوى: عقل مَن.. عقلى أم عقلك؟.. أى عقل على أى عقل؟.. وأول من حكم بـالعقل.. من الذى حكمه أولا حتـى يتعقل؟.. مع أن كثيرا من الأمور العقلية النظرية التى حكم فيها العقل تغيرت وتبدلت.

أليست الشيـوعية نظريـة عقلية؟.. أليست الـرأسمالية نظريـة عقلية أيضا؟ واختلفوا واندلعت على أثر ذلـك الاختلاف حروب كثيرة.. لكن هل اختلف أصحاب النظريتين المتعاصرتين فى نفس الـوقت فى علم الكونيات؟ لا.. لم يختلفوا.. بـل أكثر مـن ذلك «سرقـوا هذا العلـم من بعـض» يعنى الأمور النظريـة العقلية «بنت الهوى» أقامـوا سدودا لمنعها من الـدخول فيما سمى بـ«الستار الحديدى».

والأمور الكونية.. المعملية.. أرسلوا جواسيس لسرقتها.

سؤال: وما موقف الإسلام من تحرير العقل من أى سلطان؟؟

الشيخ الشعراوى : تلك دعوة باطلة:

سؤال : وما موقف الإسلام من العقل وعلاقته بالوحـى؟؟

الشيخ الشعراوى: الإسلام يريد من العقـل أن يثبت أن هناك وحياً.. ولذلك قالوا: العقل كالمطيـة.. توصلك إلى حضرة السلطان ولا تدخل معك عليه.

مثلا: إذا شعرت بألم فى أمعائى.. يكون دور عقلى وعقل أحبابى الذين سأستشيرهم أن نصل إلى اختيار الطبيب.. وعند ذهابى إلى الطبيب نقف جميعا بعقولنا على باب الطبيب لنرى ماذا سيقول.. لننفذه.

أى أن العقل يصل بنا إلى أن للكون إلهاً.. أما ماذا يريد الإله وما مطلوبه منا هذا أمر لا دخل للعقل فيه.

سؤال: إذن الاعتماد على العقل يتفاوت فى علوم الشرع عنه فى العلوم التجريبية!

الشيخ الشعراوى: نعم.. العقل يوصلنى إلى إثبات الأمور التكليفية.. إلى أن فيه إلهًا.. وفيه بلاغاً عنه.. وأيضا لأن علوم الشرع كما قلنا جاءت لتعصمنا من اختلاف الأهواء.. ولذلك فى العلوم التجريبية المعملية قال النبى صلى الله عليه وسلم: أنتم أعلم بشئون دنياكم. ويأتى بالتجربة فى نفسه «ينهى ثم يلغى النهى» لكى يكون قدوة للمسلمين فى الأمور التجريبية المعملية حتى لا يتدخل فيها الدين.

سؤال: يدعو العلمانيون أيضا إلى جعل الدين علاقة خاصة بين العبد وربه وإلى جعل المرجعية فى السياسة والاجتماع والاقتصاد وتنظيم الدولة للعقل والتجربة!

الشيخ الشعراوى : كلمة «علاقة» هذه تسمية خاطئة.. لأن معنى «العلاقة» لا يتأتى إلا بين طرفين كلاهما محتاج للآخر.. أى أن العلاقات تنشأ لربط مصالح الناس ببعضها.

والله بصفات كماله وجلاله موجود قبل أن يخلق الإنسان.. وأوجد بهذه الصفات الإنسان.. بل أوجد الكون كله. فالذى خلق كل ذلك من عدم

وأوجده ليس فى حاجة إلى أحد.. ليس محتاجا إلى...

لأن الأمر هو «وحدانية بعزها.. وعبودية» نحن الذين نحتاج إليه.. أما هو فليس فى حاجة إلى أى منا.. ولهذا لا يجوز هنا إطلاق كلمة علاقة.

ثم.. على فرض منطقكم.. ما مطلوب الله منا فى هذه العلاقة الخاصة؟؟

إجابة: أن نتعبد.. أن نصلى.. أن نصوم.. أن نزكى.

الشيخ الشعراوى: لماذا؟؟ هذه كلها تكليفات لإعلان الولاء لله تدريبًا لنا حتى إذا وقفنا بين يدى حكم الله أو بين يدى الله تساوينا جميعا فى الطاعة.

أما عن الكلام حول المرجعية.. ربما كان هذا منطقيا لو لم يوجد للإسلام فى كل هذه الأمور رأى.. ولكن الأمر خلاف ذلك.. للإسلام رأى فى كل ما سبق.. والتشريع الإسلامى شمل كل أمور الحياة.. من القمة.. من لا إله إلا الله «والتى ربما ينكرها البعض» إلى إماطة الأذى عن الطريق.

لقد جاء التشريع الإسلامى بنظام فيه حل لكل قضايا الحياة.. حل ذهب إليه حتى الذين يدينون بغير الإسلام.. لم يذهبوا إليه تدينا.. ولكن لأنهم وجدوها حلولا مثلى لكل قضايا الحياة التى عضتهم.

وهذا هو المعنى فى قوله تبارك وتعالى ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ وهذا ليس معناه أن تنطمس كل الأديان وكل الملاحدة وكل أهل الكفر ويبقى الإسلام.. بل معناه أن يظهره عليهم نظاما بالحجة والبرهان.. وتلك ليست شهادة من مسلم.. ولكن شهادة ممن لا يدينون بالإسلام.. وانظروا إلى موقف الغرب من «الطلاق». وكيف كان يرفضه.. بل لعلهم كانوا يعيبونه على الإسلام.. هذا الموقف انتهى إلى ماذا؟؟ انتهى إلى أنهم

واجهوا مشاكل لا حـل لها إلا بالطلاق.. وذهبت إيطاليا «التـى يوجد بها الفاتيكان» إلى الطلاق الذى شرعه الإسـلام، ولعل تلك أبلغ شهادة للنظام الإسلامى.. حيث «شهد شاهد من أهلها».

ولذلـك كان عليهـم أن يطالبوا بـأن تكون المرجعيـة للإسـلام فى كل الأمـور: اقتصاديـة واجتماعية وتنظيميـة إلى آخـره.. لأن الإسلام جـاء بالنظام الذى استوعب كل أقضية الحياة.. حتى إماطة الأذى عن الطريق.

سؤال: وهل لهذه الدعوة مكان أو حظ من النجاح فى بلادنا؟؟

الشيخ الشعراوى: لا.. لأن هذا أمر لا يتأتى.

سـؤال : وهل الخلاف بين الإسـلام والعلمانيـة يـدخل فى نطـاق الأصول أم فى نطاق الفروع؟؟

الشيخ الشعراوى: خلاف فى أصل الأصول.. «ثم أضـاف»: هاتوا لنا جزءا طبقت فيـه الشريعة وحدث منه فسـاد، وفى المقابل هاتـوا لنا جزءا حكمته الأهواء ونتج عنه صلاح.

ثم على فرض أننا جميعا نحب الخير.. ونحـب الصلاح.. فكيف نواجه الفساد؟؟

نضطر لعمـل قوة لتضييـق الخناق على مـن يريـد الإفساد.. وتتتبـع المفسد.. وتدينه.. ثم تحاسبه.

ولكن ما هى كيفية مواجهة الفساد الذى ينشأ عن محتاط ألا تقع عليه يد القانون؟

إذن أنت يا أيها القانون البشرى الوضعى لا تسيطر إلا على المحس من حركات الفساد والذى يدخل فى إمكانك أن تضع يدك عليه؟

طيب.. ومن يفسد بإحكام بحيث لاتطوله يد القانون البشرى.. من الذى يمنع فساده وشره عن المجتمع؟؟

لا يمنع هذا إلا أن تكون هناك قوة لا يصل إليها احتياطه، لأن القوانين الوضعية البشرية حمت المجتمع من الجريمة التى ظهرت وخاب احتياط مرتكبها.. والذى لم تظهر جريمته ونجح احتياطه.. لابد أن تكون هناك قوة أخرى تردعه .. ولا تخفى عليها خافية.

سؤال: وإذا أردنا أن نطبق الشريعة الإسلامية الآن.. فهل هناك أولويات لتطبيق الشريعة؟؟

الشيخ الشعراوى: الأولويات كانت فى أول التشريع.. ولكن من الممكن أن تكون الآن سياسة شرعية.. ويمكن القياس: فالله حين أخرج الناس من جاهلية، كان فيه نوعان.. نوع عقيدة وهذه لا هوادة فيها أى لابد من تصفية كل مسائل الكفر.

ونوع متعلق بالعادة.. يمكن أن تكون هناك فترة زمنية لكى أخرجه مما اعتاده ويجب أن يكون القياس عندى: أفضل أن أخفف الشر أم أبقيه..

قلت فى نفسى: أخففه.. وألحت على خاطرى.. ودوت فى أذنى.. وهزت أعماقى.. صيحة الإمام الجليل **فضيلة الشيخ الشعراوى:**

«**نريد أن نُحَكّمَ بالإسلام**».. «بضم النون».. إذ الغاية والقصد أن تكون المرجعية.. للشريعة الإسلامية.. وأن يقوم الحاكم على عدالة تطبيقها.. أما من يحكم فذلك أمر مرجعيته.. هى إرادة الأمة.

محمد عبد الله بدر

القاهرة فى ٩ يناير ١٩٩٥

تراجع الأنظمة الوضعية

الفصل الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام

على أشرف المرسلين سيدنا محمد .. وبعد

فقد تلقيت فى بحر هذا العام سبعة عشر كتابا كلها من بلاد إسلامية وهذه الكتب تشترك فى سمة واحدة، هى ما وصل إلى هذه البلاد من تشكيكات فى دينها، مرة يتصل ذلك بأصل الدين والإيمان بإله قادر، يدبر هذا الكون، وبعضها يتصل بالتشكيك فى أمر الوحى، وفى أمر القران، وفى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ومرة يأتى التشكيك فى نظام الإسلام وعدم صلاحيته لقيادة حركة الحياة فى ذلك العصر، ولقد عرفت مصدر كل ذلك: فالمصدر الإلحادى الذى يتصل بنفى الإله القادر الخالق المدبر للكون، لاشك أنه قد وفد إلينا من الشرق، ومن الشرق الشيوعى، وأما ما يتعلق بالتشكيك فى أمر القرآن الكريم وأمر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فمصدره الغرب لأن رائحة الكلام

الذى فيه تدل على أنهم يشككون فى الإسلام ولكنهم يوقنون بدين يأتى من الله بواسطة الرسل.

لم يكتفوا بالتبشير بالمسيحية..
وأرادو تنصير المسلمين

وقد شاء الله أن يفسر لى ذلك اللون بما وصلنا من أخبار عن مؤتمرات عقد أولها فى لوزان ١٩٧٤، وعقد الثانى فى ولاية كاليفورنيا فى بلدة اسمها باسنتيا ١٩٧٧، وأيضاً مؤتمر اخر عقد فى «مدينة جلين ايرى بولاية كلورادو الأمريكية سنة ١٩٧٨»، وهذا المؤتمر الأخير ضم حصيلة المؤتمرات التى سبقته. ويدل ذلك على أن وراء ذلك قوة بشرية ومادية ودولية، إن الذين دعوا إلى هذه المؤتمرات صفوة المفكرين فى هذه البلاد، وعلى رأسهم أساتذة الاستشراق فى العالم وعلماء متخصصون فى علوم الاجتماع يدرسونها فى الجامعات، وعلوم الإنسان وعلوم السلالات، ومع ذلك مختصون متمرسون بدراسة الأحوال الاجتماعية فى الأمم النامية، وقد التقت هذه الاراء والمباحثات على توصيات أعلنت وتوصيات أخرى سُترت لتعلن قريبا.

وشاع فى الكتب التى تلقيتها اثار ذلك من التشكيكات التى انفرد بها لا للتبشير بالدين المسيحى كما يعلم سابقا من حملات التبشير فى العالم، ولكن أخذ ذلك اسما آخر وهو التنصير فكأنهم لم يكتفوا بالتبشير بالديانة المسيحية، ولكنهم أرادوا تنصير المسلمين الذين يؤمنون برسالة الإسلام، وقد عرض ذلك الكتاب الذى يحمل كل هذه الأفكار على مجمع البحوث فى الأزهر ليدرسه وليضع له ما يمكن أن يكون سدا ذريعاً

بين تحقيق هذه الأفكار.

ولما راجعت الكتب وجـدت كثيراً من الإشكالات التى كت
على دينهم الإسلامى قد أخذ حظا من هذه الأشياء، مما يدل
التبشير قد بـاشرت مهامها، لذلـك استخرت الله فى الرد ع
يثار بـواسطة هـذه العمليات الضخمة الـواسعة المستفيض
قضية مـن القضايـا التى تثـار مبحثها على حـدة حتى نـربى منـاعة
النفوس الإسـلامية الإيمانيـة تستطيع.. لا أقـول أن ترفـض هذه الاراء ولكنها.. « تبصـق على هذه الاراء»، قلنـا إن الموجة الأخـرى التى وفـدت علينا مـن الشرق فأمرهـا معلوم لأنها تشكـك فى طبيعة الديـن وفى أصله سـواء كان إسـلاميـا أو مسيحيـا أو يهودياً، وذلـك أمـر يـراد به نفـى القداسات عن أشياء يعتقدهـا الناس ليسيروا حركة حياتهم على منهجها، وفى ذلـك يخلو الجو لمريـدى التسلـط على الكون والمتسلطين على الحكـم حتى لا يجدوا منـازعا لهم لا من قـانون السماء ولا مـن قوانين الأرض، وإذا كان الأمـر سيسير منطقيا فإنما نتكلـم أولا لنرد وافـدة الإلحاد عن أبنائنا المسلمين.

وافـدة الإلحاد، كل مـا يمكـن أن يدور فى فلكهـا مـن فكر إنما هـو لا لمناقشة النظام الـذى جاء به الإسلام، ولكن مناقشة النظـام الذى جاء به الديـن الذى يسبق الإسـلام لأنهم يقولون: لا نجـد فى ذلك نظامـا يحكم حركـة الحياة وهم صـادقون فى ذلك، ولكنهـم لو امتد بهم البحـث قليلا ووصلوا إلى «نبى الإسلام» ودين الإسلام وما فيه.. لوجدوا الشىء.. كل الشىء عـن حركة الحيـاة وتنظيمها بما لا يمكـن أن يتفوق عليه قـانون

[illegible] وبذلك نقول لهم إنكم قاصرون حتى فى دراسة الأديان [illegible]ها، فالمسيحية لم تأت لتنظيم حركة الحياة، ولكنها جاءت [illegible] إيمانية وجدانية.

[illegible] هى التى كانت مفقودة عند اليهود، فاليهود سيروا الأمر [illegible]ديا، لدرجة أنهم أرادوا أن يجعلوا الله جسما يجلس ويضع رجليه على قصعة! وقالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرى اللّه جَهْرَةً﴾.

فهم أرادوا لإله الغيب أن يكون أمرا ماديا، كذلك جاءوا فى كل النظم وجعلوها مادية، وقلنا سابقا: إذا استعرضت التوراة بطولها وبكل أسفارها، فلن تجد شيئا يتعلق باليوم الآخر أبداً، كما أن المسيحية لم تجىء لتنظيم حركة الحياة حتى يقال إنها دين لا ينظم حركة الحياة، ونحن جئنا لتنظيم حركة الحياة فإذا كنتم تريدون تنظيم حركة الحياة، فلماذا بعدتم عن دراسة الاسلام كدين؟

نريد أن نقابل نظمكم بنظمنا الإسلامية

إذا قلنا لهم ابحثوا نظام الإسلام كدين قالوا: إن مصدر الإسلام الذى تعزى إليه كل هذه المناهج مصدر خرافى لا وجود له، فكأنهم ينقلون البحث من بحث نظم الإسلام إلى المصدر الذى جاء منه الإسلام، وما دمتم تقولون إن الدين الذى تقولون فيه جاء من الله خرافى، مالك وإله خرافى؟ إنك جئت بنظام وقلت إنه من عندك فخذ هذا النظام وقارنه بنظام، ولو على أنه حصيلة فكر إسلامى نسب إلى إله، أنتم تقولون إنه خرافى، فناقشوا إذن قضية النظام نفسها وابتعدوا عن مصدر ذلك النظام وما لكم به أى مساس. لأننا لا نريد أن تؤمنوا بهذا الإله ولكننا نريد أن

نقابل نظمكم بنظمنا، ونظمنا التى نقول إنها من الله، وأنتم تقولون إنه لا إله، مـا لكم ولمصدر هـذا؟ ناقشوا النظام بـالنظام، فإذا مـا جئتم إلى أى جزئية من جـزئياتكم لتبحثوها وجدت التطبيق يفسـد قولكم - التطبيق الذى طبق من سنة ١٧ (الثورة الشيوعية) إلى الآن فى كل دولة من الدول التى وقعـت تحت سيطرة هذا الموعـد والفكر - أنها لم تؤد لها ثمـرة بل العكس أدت إلى خراب(*)، وإذا ما نظرنا إلى هذه النظم وجدت أن الاسلام يأتى بالرحمة الهينة اللينة لينشىء أجيالا مبنية على شىء من الهوادة، لا على العنف. وأنتم تقولون وتدعون أنكم نظمتم حركة الاقتصاد للإنسان فى الأرض نقـول لكم لا، إنكـم لم تنظموا حـركة الاقتصـاد للإنســان فى الأرض، ولكنكم عمـدتم إلى حصيلـة جهد أناس لتفـرقوهـا على أناس لم يجدوا ولم يجتهدوا، فكان من الأصلح أن تجعلـوا الناس جميعا سواء فى الحركة إذا أردتم أن يكونوا جميعا سواء فى المحصول والإنتاج والغلة.

---

* هذا الحديـث سجل للإمام الجليل فى صيف عام ١٩٨٢ حيث كان الاتحاد السوفييتى هو القوة العظمى الثانية فى العالم.

ولقد كان عجيبا فى ذلك الحين أن تتضمنه إشارة الشيـخ الجليل فى حديثه عن الخراب الذى حل بالدول التى وقعت تحت سيطرة المنهج والفكر الشيوعى.

أما الأكثر عجبا.. فـإن إشارة الشيخ الشعراوى عن الخراب فى عام ١٩٨٢ صارت نبوءة أطلقها فضيلته على مسمع ومرأى من العالم عبر شاشات التليفزيون فى عام ١٩٨٧ ومن خلال برنامج من الألف إلى الياء فى برقيته التى أرسلها إلى جورباتشوف رأس النظام فى الاتحاد السوفييتى فى ذلك الحين والتى كان نصها.

تراجـع بشـجاعة ... قبل أن تردع ببشاعة

فمتواليات الفشل ... تنذر بقـرب الأجـل

لقد كـان إعلان الشيخ عـن «قرب الأجل» لانهيـار المعسكر الشيـوعى يبدو فى ذلـك الحين أمرا خارج التصور، ناهيك عن الوقوع.

• ثم فى عام ١٩٩١ يأتى قـدر الله مصدقا لنبوءة إمامنا الجليل وينهـار الاتحاد السوفييتى لا هو وحده فحسـب.. بل ينقطـع الخيط الواهـى لعقد النظـام الشيوعى فى العـالم وتنفرط حبـاته.. ويموت النظام الشيوعى .. وتدفن الماركسية دون أن يشيعهـا أحد.. بل ودون دمعة تذرف على أطلالها.

« الناشر »

ولكنكم أخذتم من قوم تعبوا لتعطوا قوما لم يتعبوا، ثم لم ترضوا بهذا أيضا، لأنكم سكرتم بقضية ماركسية هذه القضية هى الدعوى ونقيض الدعوى، والجامع بين الدعوى وبين نقيضها.

الدعوى كانت شراسة الرأسمالية، فالنقيض جاء ليأخذ السلطة ويعطيها للعمال ضد الرأسمالية، ولكن العمال بشر أيضا قد يأخذون هذه السلطة ويطغون بها كما طغوا من قبل «الرأسمالية» فقلتم لا، لابد أن توجد هيئة تجمع بين الدعوى وبين نقيض الدعوى بيد واحدة هى اليد الحاكمة فقط، أصبحت اليد الحاكمة عندكم، هى التى تملك الثروة وتتحكم فى العامل ولا سلطان لأحد فى حرية أو حركة.

والشيوعية تدعى أن الأديان ما جاءت لتنظيم حركة الحياة، ولذلك كانت الثورة الشيوعية تصحيحاً لكل هذه الأفكار، ولتنظيم اقتصاديات الحياة، وقلنا إنهم جعلوا الأمر خاضعاً لنظرية فلسفية هى الدعوى ونقيض الدعوى أى مقابلها والجامع بين نقيضها، وقلنا إن الدعوى هى الرأسمالية يقابلها العمالية، وبعد ذلك قيل إن الرأسمالية فى أيدى أناس إذا استبدت بالأموال، فكذلك قد يستبد العمال بالعمل وحينئذ يوجد شىء اسمه السيطرة الموجهة، إذن فلابد أن توجد هيئة تجميع بين الرأسمالية وبين المقابل وهو العمالية بيد واحدة وهى يد الأحزاب التى تسيطر وتحكم.

ونقول لهم: لنعط الجيل الإسلامى الناشىء خميرة يمكن أن يرد بها على كل هذه الواردات.

إن الثورة الشيوعية التى بدأت فى سنة ١٧ وأشاعت مبادئها ادعت

فيما أشاعته أنها إنما جاءت لا بالشيوعية المرادة التى يحبون أن يؤصلوها فى المجتمع، ولكن فى مقدمة للشيوعية وهذه المقدمة هى الاشتراكية.

إذن هم لم يدخلوا فى النظام الشيوعى. ومعنى ذلك أن النظام الشيوعى أوغل فى الاشتراكية مما يريدون.

فنقول لهم: إذا كنتم قد قلتم هذه المقدمة لتمهدوا للشيوعية فانظروا أتقدمتم إلى الشيوعية أم تأخرتم حتى عن الاشتراكية؟ إنكم فوجئتم بواقع الحياة يصوب أخطاءكم ورعوناتكم، فوجدتم أن النفعية الذاتية فى الشخص قد انطفأت جذوتها ولم يعد هناك وازع فى النفس للعمل، ومادام الأمر سيتأكد فى أن كل عامل سيأخذ أجره فلا داعى أن يجهد الإنسان نفسه إلا بمقدار حاجته، والطموحات البشرية لا تجيىء فى كل الأفراد.

الطموحات البشرية فى أفراد معدودين فى كل جيل وفى كل مجتمع وفى كل عصر.. فإذا كانت..

المنفعة الذاتية هى التى تسيطر على حركة الإنسان

إقداما ودأبا وإخلاصا وغيره، لأن كل ذلك يعود عليه وعلى من يعول، فَقد فُقد هذا المشجع وهذا الحافز فى نظامكم، مما أدى إلى أن البلاد التى كنتم تصدرون إليها حبوبكم أصبحتم أنتم تستوردونها من الخارج، فهذا يدل على أنكم لابد أن تتوجهوا فى النظام ليكون أقرب إلى الطبيعة.

هذا النظام الذى يكون أقرب إلى الطبيعة هو أن تستغل حب الذات فى النفس البشرية، لتعطى له حافزاً يجعله يعمل، وإن لم يكن المجتمع فى باله،

فإنه إن عمل ولو لنفسه ولم يكن حتى المجتمع فى باله فإنه سيدخل للمجتمع قهرا عنه.

فهب أن إنسانا يريد أن يبنى عمارة ضخمة، وعنده من المال مال مكنوز ويحب أن يبنيها، يدخل الله على نفسه خاطرا من خواطر الاستثمار والنفع الذاتى، هاكم ومالى لا أستغل هذا المال المكنوز فى بناء عمارة تدر على كذا وكذا من المال؟ ويضخم له الأمل ما يأتى من هذه العمارة، ذلك بحب ذاتى بحيث لا يتعدى حدود النفس الضعيفة، وإن تعدى فإنما يتعدى لولده وإلى القريب من أهله.

نقول له: نعم إن المجتمع سيستفيد من ذلك أردت أو لم ترد، كيف؟

الذى يحفر الأرض لتبنى أساس العمارة سيستفيد.

والذى يصنع الطوب لتبنى عمارتك سيستفيد.

والذى يعمل فى حقل الأسمنت سيستفيد.

والذى يعمل فى البناء سيستفيد.

والذى يعمل فى خلط المواد سيستفيد، والذى يعمل فى الكهرباء سيستفيد.

والذى يعمل فى الأدوات الصحية سيستفيد.

والذى يعمل فى الجماليات الكمالية (الديكور) سيستفيد.

فإذا ما نظرت إلى العمارة بعد أن أقيمت تجد أن كل مال هذه العمارة قبل أن ينتفع بها صاحبها انتفع بها كل المجتمع، استطراقا من أفقر طبقة فيه إلى أوسط طبقة.

إذن فالحركة الذاتية فى النفع الذاتى نـريد أن توجد ولو لم يكن فى بال من يتحرك المجتمع، فإن المجتمع سيستفيد قهرا عنه رضى أو لم يرض.

فأنتم إذن اضطررتم إلى أن تدخلوا نظام الحافز.

إذن أنتم لم تقربـوا من الاشتراكية إلى الشيوعيـة، وإنما رجعتم أيضا حتى عن بعض الاشتراكية.

الإسلام صحح شراسة الرأسمالية.. وصـحح شـراسـة الشـيوعـيـة

ويعنى أنكم رجعتم.. أن هناك فكرا شرسا قـد هيأ لكم أمراً أو برر لكم أمرا لتسيطروا علي ناصية الحكم فى البلاد، وتستذلوا الناس لأنكم جعلتم لقمة العيش التى تقيم حياتهم فى أيديكم ومعكم قوة الحكم.

إذن فأنتم تراجعتـم قهرا عنكم لإيجاد الحافز ليوجد قـدر من الحركة الهادفة النافعة المؤهلة للطموح.

فإذا كنتم قـد رجعتم عن الاشتراكية التى ادعيتـم أنكم إنما جئتم بها، كمقدمة للشيوعيـة، إذن فهذا تراجع، هذا مقابل الدعـوى، وإذا ما نظرتم إلى الدعوى الأصليـة وهى أنكم فعلتم ذلـك لتخلصوا الدنيا مـن شراسة رأس المال، فلننظـر فى الجهـة المقـابلـة لشراسـة رأس المال.. أبقيت على شراستها أم أعطيت العمال الحقوق.. وأعطوا الـراحات وأعطوا المكافآت، وأعطوا التأمينات؟

إذن فـلا الرأسماليـة سارت فى شراستهـا، ولا الشيـوعية ســارت فى شراستها، تلك مخطئة، وهذه مخطئة.

والواقع كذب الاثنين معاً.

إذن فلابد أن تتنــازل الرأسمالية عن شراستها وأن تتنــازل الشيوعية عن شراستها.

ومعنى تنازل طرفين متقابلين أن يتواجها دون أن يتدابرا.

وإذا ما تواجها التقيا فى منتصف الطريـق ومنتصف الطريق هو الذى جاء به الإسلام.

إذن فلو أنكــم أنصفتم لوجدتــم الإسلام صحح شراسة الـرأسمالية، وصحح شراسة الشيوعية.

فلو أنصفتم لجعلتم مـن هذا النظام منقذا لكم مما تـورطتم فيه سواء جـاء التـورط مـن جهـة الغرب فى الـرأسماليـة أو مـن جهـة الشرق فى الشيوعية.

فـإذا ما أردت أن تقــارن نظــاما بنظــام أبقــى الحافز، وأشــاع الخير الفاضل من الحركة الإنسانية وجـدت أنهم أحرجوا فدخلوا فى شىء اخر لا يدخل فى مقام المناظرة، ولا فى مقام الجدل، ولا تقوم به حجة وهو أنهم فـروا من منــاقشة النظــام ومقارنتــه بنظام.. إلى الكــلام فى مصدر هــذا النظام، الكــلام الذى تقولـونه يا أيها المسلمون كــلام جىء به مـن شىء خراف.

كيف تقولون إنه خراف غيبى، إنه شـــىء موجود أولا، كونه ممن؟ هذا أمر لايعنيكــم، فقارنوا نظــاما بنظام، وقــد قابلتم ففشلتــم، وتبين تفوق النظام الإسلامى على نظمكم جميعا، وأسبقيته وتميزه، وأنه لا إذلال فيه

لأحد على أحد لأن بشرا لم يدع أنه أتى ليستـذل به رقاب الناس؟ أو ليعتز به أو يحاول أن يجد لنفسه مكانا، لأنهم يقولـون ليس من عندنا، إنما هو نظام من عند الله فبدأوا يناقشون فكرة الله هذه. نقول لهم: هذا فرار من ميدان المناظرة، ومن مجال الجدل.

مالكم والإله الذى قلنا إننا جئنا بالنظام عنه.

ناقشوا النظـام وهبوه نظاما بشريا لنظام بشرى، ومـع ذلك سنحاول أن ندخل معكم فى شىء من الجدل حتى لاتظنوا أننا فررنا من نقاش هذه المسألة.

وجود الأثر لابد أن يسبقه وجود مؤثر

- إنكم تقولـون إن الإله الذى نسبتم إليـه هذا النظام إله لا وجـود له، وأن العالم يسير هكـذا بطبيعته، إلى اخـر الأفكار التـى تقولـونها فى هذه المسألة التى أصبح الرد عليها ممكنا بطرف الأصبع.

نقول لهم لو أنكم نظرتم إلى نظامكم بالذات أيدعى أحد أن النظام هبط عليه من دون مقنن له؟

إنكم قلتم ماركس.. قلتم لينين.

إذن فالنظام الذى وجد ما استطعتـم أن تنسبوه إلى قوة خفية ولكنكم نسبتموه إلى قوة مادية من جنس ذواتكم. فالنظام جاء من عندنا ومتميز عما عندكم، ألا تحبون أن ننسبه إلى أحـد كما نسبتم أنتم نظمكم إلى أحد؟ وحاولتم أن تجعلوا منهم الهة. إن نظاما جئتـم به لم تقولوا إنه جاء هكذا بطبيعته، وإنما جاء بأساتذة فلاسفة وفوارس ومدارس الخ.

فإذا كان هذا النظام الذى أصبح مفضوحا بمقارنته بنظام الإسلام لم يجىء بطبيعته ووجدتموه هكذا، فهل النظام الذى يتفوق عليه أو على الأقل يساويه، تقولون هكذا جاء من غير أحد، يقولون لا، إنه جاء من أحد مثلنا، نقول إن الذى يأتى بشىء عظيم لايمكن أن يتخلص منه لينسبه إلى غيره.

لأن الناس تتصيد كمالات غيرها لتنسبها لنفسها.

فإذا ما وجد عنده كمال، جعله يأتى بنظام.. فهل إذا ما جاء بهذا النظام ينسبه إلى شىء اخر ويقول أنا لم أصنعه.

إن الإنسان منا يدعى ما ليس له، ومثل هذه الكمالات لا تطلق بلا دعوى.

فإذا كانت تطلق بلا دعوى، وأن الذين يحملون هذا النظام يريدون أن يرتفعوا عن مستواهم ويقولون: لا، ليس من عندنا وإنما هو من عند إله قادر.

فلو أنه كان من عندهم لقالوا كما قلتم أنتم، ومجدوا الذين جاءوا بهذا النظام.

إذن فقولكم إن هذا شىء خرافى، شىء لايعرف ولايدخل فى نقاش ولا يدخل فى جدل، وأيضا لو نقلناكم نقلة قبل وجود النظام، النظام الذى تحكمون به تقولون إنه لم يكن موجودا، وقد وجد، ووجد بموجد.

قلتم عنه إنه فلان وفلان.

- إذن فكل شىء يوجد ويطرح فى عالم الوجود، لابد له من موجد، ما دمتم قلتم بنظام لم يكن موجودا قبل عام ١٧ هذا النظام لم تجدوه

مطروحا هكذا بـدون موجد، ولكننا عرفنا أن قد أوجـده موجد، إذن فكل أثر لابد أن يكون له مؤثر أوجده، فالضـدية التى قلنا بها كدين وكإسلام قاد حركة الحياة وانتصر على الفرس والروم أوجد هكذا بدون موجد؟

دعوا النظام الـذى يحكم حركة الحياة، وابحثـوا فى الحياة ذاتها.. هذه الحياة التى توجد على ظهر الأرض فى صور مختلفة، أيعقل أن توجد هكذا بدون موجد؟

لو أن إنسـانا ما كـان فى صحراء، ولا يجد مـاء ولا قوتا ثـم استيقظ فوجـد مائدة عليهـا أطايب الطعـام وأطايـب الشراب، أعتقد أنـه قبل أن يتنـاول شيئا منهـا لابـد أن يسأل فكـره، ويحمـل عينيه على أن تبحث ليعرف من أمده بـالطعام والشراب.. فإن كان جائعا ومعجـلا وأكل أظنه بعد أن يشبـع لابد أن يفكـر فيمن أحضر له الطعـام، فلن يجد أحـدا أبدا يقول له أنا الذى أحضرته.

فاذا ما ارتفـع صوت بعيد ليحل له اللغـز وقال له: أنا الـذى فعلت لك ذلك، هـو يطلب منفعـة، وقال أنـا فعلت ولم يجد أحـدا يعارضـه فى هذه الدعوى، ألا تصح الدعوى له ويصبح هو صاحبها؟

ولعل فى هـذا إفحاما للـذين يقولـون (لا إله) إذ استدللنـا به على أنهم نظموا حركة من حياة من فكر البشر.

وهذه الحركة التى قاموا بها كانت نتيجـة أبحاث فكرية لقوم سموهم فلاسفة هذه الثورة.. الثورة الشيوعية.

إذن فالنظام لم يجىء من ذاته، إنما بواسطـة أناس، إذن فوجود الأثر لابد أن يسبقه وجود مؤثر.

فلو أنهم نظـروا إلى الوجود حولهم قبـل أن يوجد منهم ذلـك النظام، لوجدوا نظامـا يحكم حركة الحياة قد يكون مـن وضع البشر، وقد يكون من بقايا أديان درست وانتهت.

نقول لهم: تجاوزوا عن ذلـك، وانظروا إلى الأشياء الثابتـة فى الوجود التى طرأ عليها النظـام، فالنظام جاء ليحكم حركة حيـاة إذن فابحثوا عن الحياة قبل أن تبحثوا عن نظام حركة الحياة، ومادمنا قد استدللنا على أن كل أثر لابد لـه من مؤثر يسبقه، وقد سبق وجود نظـام لكم تحكمون به نظام الحياة الاختيـارية، وجود مؤثـرين أصحاب مدرسـة وضعوا ذلك النظام.. انقلوا البحث إلى ما فوق ذلك وابحثوا فى المنظم له.

المنظم له هو حركة الحياة بـالنسبة للإنسـان والإنسـان ليس وحده فى هذا الوجود الذى نظمتم له حركة.

لأن الإنسـان جنس من أجناس كثيرة، وأنتـم نظمتم للإنسان، ولكنكم لم تنظموا شيئا لبقية الأجناس.

من الذى يجعـل نظام الأجناس غير الانسان نظـاما لايوجد لـه موجد لأنكم لم تدعوه؟ هذا النظام أيضا عائد فى أخريات أموره إلى الإنسـان.

فالإنسـان جنس وهو جنس أعلى. ومعنى أنه جنس أعلى أنه لايوجد فى الوجود المرئى لـلإنسـان جنس آخر يفوقه فى خصـائصه. أقول فى المرئى لأنه قـد يوجـد جنس غيبى أعلى مـرتبة من الإنســان، إنما أنا أتكلـم عن الإنسـان المرئى المشهود فى عالم الملك، ولا أتكلم عن الأشياء التى توجد فى عالم الغيب، لأن ذلك أمر لانعرفه إلا عن طريق الدين.

وطريـق الدين هـو الطريق المختلف فيـه. ومادمنا مختلفين فيـه، فلا

يصح أن نحتج به عندهم.

إذن فالإنسان جنس فى الكون، وجنس أعلى لأن الأجناس المرئية، هى دونه فى التكوين المشخص ودونه فى المهمة.

فالإنسان إذا نظر ووجد نفسه حيا متحركا حساسا، ووجد جنسا آخر حيا ومتحركا وحساسا وهو الحيوان الذى دونه، ولكن الإنسان يفوق الحيوان بأنه مفكر.

ومعنى أنه مفكر أنه يختار بين بديلات متعددة.

الحيوان لا يختار بين بديلات، الحيوان محكوم لابنظام بشرى ولكن بنظام قهرى وجد فى غريزته لم يتعلمه أبدا، لم يجلس إلى معلم ليعلمه كيف يأكل وكيف يشرب وكيف يتقى البرد وكيف يبنى لنفسه أوكارا، أو أعشاشا أو الخ.

إنما أمر جاء فيه بغريزة، فهو محكوم بالغريزة القسرية القهرية، والغرائز القسرية القهرية دائما لابدائل لها لأنها أمر واحد، ولنوضح ذلك بمثال: فأنت إذا ضربت قطة فإنها ترد عليك ردا واحدا، ولكنك إذا ضربت إنسانا فإنه يمكنه أن يرد عليك بردود متعددة، فقد يضربك ضربة أو ضربتين، أو ضربة مثل ضربتك أو ضربة فوق ضربتك، وقد يسخر منك ويهزأ ويعفو، وقد يحسن إليك.

إذن فهناك بديلات متعددة والذى أدار هذه البدائل واختار أرجحها وهو الفكر وتلك هى ميزة الإنسان عن الحيوان.

الإنسان منا يأكل -كما نقول دائما- فإذا ما جاء إليه عزيز بعد شبعه بلون آخر من الطعام فإنه يأكله أيضا، ويأتى ثالث فيأكل أيضا، ولكنك

إذا ذهبت إلى الحيوان بعد أن يشبع لتحمل عليه بكل ألوان القسوة لتحمله أن يأكل عودا مـن البرسيم فوق طاقته ما استطعـت إلى ذلك سبيلا، لأنه محكـوم بحكم الغـريزة التـى لاتجامل، وبحكـم الغريـزة التى لابـدائل عندها.

إذن.. فالإنسان متميـز بالفكر، والفكر يجعلـه بين بدائل متعددة، فما الذى يجعله يختـار بديلا على بديل؟ إنما يختـار بديلا على بديـل وفق ما يرى من الخير فى البديل الذى يختاره.

وقد يختلف الناس فى تقـدير ذلك الخير، حسب أهوائهم ومشـاعرهم ومواجدهم. إذن..

فلابد أن توجد قوة عليا لتنظم سلطان الهوى

حتى لايفسد على الإنسـان أمر اختياره، فتتدخل هـذه القوى لتفرض نظاما فى اختيار الشىء الذى إن لم تختره يحصل فيه الضرر.

وبعد ذلك ننتقـل إلى الحيوان، فنجد الحيوان متمتعا بأنـه يفوق جنسا آخر تحته.. هذا الجنس هو النبات الذى لاحس له كما نعلم ولاحركة.

والنبات يمتاز عن الجماد بأنه له نمو، والجماد لا نمو له.

إذن فأجنـاس الوجود التـى أمامنا متـدرجة، جنس يسلـم إلى جنس، وتجد كل جنس فى خدمة الأجناس التى فوقه.

الجماد (ماء، هواء، عناصر أرض، شمس، قمر) كل هذه جمادات هى فى خدمة من؟

تخدم النبات تغذيه بـالضوء، تغذيه بالعناصر، الماء يـذيب له العناصر ليتغذى.

ثم النبات يخدم ما فوقه وهو الحيـوان، والحيوان يخدم ما فوقه وهو الإنسـان.

ولكـن الإنسـان يخدم من؟ لاشـيء، لأنـه السيـد المخدوم مـن هـذه الأجناس كلها، ثـم لايجد له فى الوجود المرئى أى عالم الملـك جنسا أرقى منه.

إذن فالإنسان تصب فيه كل الأجناس لخدمته هو، أصبت فيه لخدمته هو بفكره وبقدرته عليها؟

لا.. إنها تخدمه بدون قدرة له عليها، تخدمه ولا قدرة له، وهو صغير، وهو طفل، وهو جنين.

شمس تمده بالضوء والحرارة.

والماء يمده بالحياة.

والهواء يمده بالتنفس.

والنباتات تمده بالطعام.

والحيوانات تمده بأشياء كثيرة، قبل أن توجد له قوة.

أماكان من العقل أن نبحث عن القوة التى سخرت لى من لايدخل تحت قدرتى ليكون فى خدمتى؟!!

شئ لايدخل تحت قدرة الإنسان.

ما الذى جعله يدخل فى خدمتى وليس لى قوة تقهره على ذلك؟

أعندى قـوة تأمر الشمـس فتأتمر وتأمـر القمر فيطيع وتـأمر الهواء

فيستجيب وتأمر الماء فينصبّ؟

أعندى قوة ترتب لى عناصر الأرض لتغذى النبات؟

إنها أدت مهمتها قبل أن توجد لك قوة، وإن وجدت لك قوة فقوتك لاتتسامى إلى أن تقهرها.

إذن كان من الواجب عليك أيها العاقل أن تقف وقفة لتبحث عن هذا السر، الذى سخر لك ما هو أقوى منك إلى أن يكون لامثلك ولكن فى خدمتك أنت!!

الرسول نموذجٌ للكمال البشري

الفصل الثالث

فإذا ما جاء إنسان وصاح أيها النـاس: إننى جئت لأخبركم بهذا اللغز، لأننى عرفت من سخر لكم هذه الأشياء.. أظن أن أقل منطق يجعل الآذان تستجيب لهذا الداعى لتسمع منه حل اللغز الذى كانوا مشغولون به.

فإذا ما جاء رسول من جنسى وقال لى: أنا أحل لك هذا اللغز وإن الذى سخر لك هذه الأشياء هو القوة التى سمت نفسها الله.

إذن فقد حل اللغز الـذى أطلب أنا حله وبعد ذلك يقـول الرسول ذلك، ويأتى بالآية والمعجزة على أنه صادق.

فإذا ما جاء بـالمعجزة الدالة على أنه صادق.. أقـال أنا الذى فعلت؟ لم يقل ذلك. هو أيضا خرج من هذه المسـألة. وقال أنا لم أفعل أيضا وإلا لو أنه استغل المعجـزة التى جاءت علي يده ولم يستطـع أحد أن يجىء ببينه وأتحداكـم أن تجيئوا بـه فلو أنـه قال وأنـا الذى فعلـت ذلك ربما وجـد مصدقا، ومع ذلك لم يقلها أبدا، بل قـال أنا متلقيها عن القوة الخفية التى فعلت.

ولذلك حينما أراد الحق سبحانه وتعالى أن يجلى هذه العقيدة علميا. والعقل يتطلبها والعقل يؤيدها فقال تعالى:

﴿قُل لَّو شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾.

أنا جئت بهذا وأنا سنى الآن أربعون، هل جربتم على منطقا كهذا المنطق المعجز قبل أن أبعث أبدا، وأنا معكم منذ أربعين سنة؟

وهل تتفجر العبقرية بعد الأربعين؟ وهذا ضمن ما أثارته شبه الملحدين، يقولون إن محمدا نشأ فى أمة بليغة ولها فى البلاغة مجال، ولها فى الفصاحة تميز، ولها فى الآداء الجميل المستنير سوابق. فلماذا لاتجعلون مسألة القرآن من محمد سابقة جميلة من هذه السوابق، كما وجد منهم شعراء وخطباء وحكماء؟ ومادامت هذه الظاهرة فى البلاغة شائعة لماذا لم تجعلوا القرآن من هذه الظاهرة الشائعة إلا أنها ظاهرة متفوقة.

نقول لهم: إذا كان صاحب هذه الظاهرة لم يقل بها ولم ينسبها له وقال لهم ليست هذه المعجزة لى وإنما أنا ناقلها من إله بعثنى إليكم بدليل أنكم لم تجربوا على طيلة عمرى أنى بليغ أو أنى أديب، أو أنى كاتب أو أنى شاعر أو أنى خطيب.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمْرًا مِن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

إذن فلابد أن يكون صادقا، وإذا كان قد جاء بذلك وأنتم تنسبونه إلى

الكذب وأن القرآن قد جاء به سابقة من سوابق العصر متفوقة.

نقـول لهم إذا كان قـد كذب، نقـول لهم فما الكذب؟ كـل كذاب يكـذب يحاول أن يحقق لنفسه نفعا لم يوجد قبل الكذب.

فما النفع الـذى يريده محمد عليـه الصلاة والسلام، حتى يـدعوه إلى الكذب؟ إنه كما نعلـم عاش فقيرا (عاش مسكينا متواضعـا) (عاش يلبس المرقّع، عاش لم يشبع من خبز الشعير، فـإذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذن كذب؟)

إذن فليس للكذب مبرر إلا أن يكـون قد أراد أن يضع لنفسه مـوضعا أعلى مما هـو فيه، وهو بالعكـس لو أنه اقتصر على مـاكان فيه من أمـانة التجارة لعـاش فى يسر، وعاش فى أمن ورخاء، وعـاش فى أسرة مترفة. لم يكن كـذلك، لأنه لم يـرد لنفسه الحياة، وإنما إرادهـا الله له وهـو واهب الحياة.

إن صاحب الكمال.. ينسبه إلى نفسه، والقـرآن كمعجزة فى غاية الكمال لم ينسبه إلى نفسه، وأيضا فإن وجـوده فى سن الأربعين ومجىء البلاغة الاعجازية له فى سن الأربعين، ولم يسبق له أن قال شيئا من ذلك يدل على أن العبقريـة الأدائية لم تنصـب عليه فى سـن الأربعين، لأن ذلك مخالـف لنظام العبقريات فى مقـاييس الدنيا، فما وجدنا عبقريـة فى إنسان تتأخر لسن الأربعين، وإنما العبقريات تأتى عـاده فى أواخر العقد الثانى وأوائل العقد الثالث.

وهـب أنه كـانت عنـده هذه العبقـريـة ثم آثـر أن يفجرهـا بعد سـن الأربعين؟

من الذى كان يضمن له أن يعيش ليفجرها بعد سن الأربعين؟، فربما فاجأته المنية فمات وماتت معه العبقرية، وهو يشهد أن أباه مات وأمه ماتت، والناس حوله يتساقطون موتى فى أى لحظة بدون توقيت أجلى.

إذن فقول الكفار والملاحدة إنه كذاب، نقول لهم إن الكذاب عادة يكذب لغاية، فما الغاية التى من أجلها يكذب محمد؟!!

لقد كانت حياته حياة هادئة رتيبة فى مستوى يحسد عليه وفى مركز فى تجارة خديجة، من الممكن أن يعيش به عزيز قوم فما الذى أداه إلى هذا الكذب لنفسه.. ليصنع ماذا؟

والمتاعب كلها انصبت عليه بعد قيامه بهذه الدعوة ثم بعد أن انتصر فى الفتح ودانت له الجزيرة وأصبح سيدها كيف عاش؟

إنه دخل مكة فى منتهى التواضع وفى منتهى الانكسار لله، وقالوا إنه من خشيته وتواضعه لله كانت رأسه وهو على دابته تمس قربوس فرسه.

إذن فذلك هو منتهى التواضع، وإذا كان يقال لنا إنه كان يمر الشهر ولا يوقد فى بيت محمد نار يعنى للطهى، لم يشبع من خبز شعير ليلتين متواليتين.. كل ذلك يدل على ماذا؟

يدل على أنه ليس هناك سبب للكذب، وأيضا فإن..

محمدا لم يجعل لأهله حظا فى دنيا الإسلام

بل بالعكس منع أهله من أن يأخذوا حظهم من الزكاة وإن كانوا فقراء، منع أهله أن يرثوه «نحن معاشر الأنبياء لا نورث.. ماتركناه صدقة».

إذن فليس هنـاك سبب يـدعوه أن يكذب ليعيـش هذه العيشـة فى هذه الدنيا التى يحاول الناس فيها أن يأخذوا حظهم منها.

وأيضاً فإن الملابسات التى مرت بـه جعلت الناس أمامه قسمين: قسم آمن به، وقسم تصدى له.

المتصدى عادة لإبطـال دعوى مقابلة يجند لها كل مـواهبه، ويجند لها كل قواه ليحاول صدها فكونهم كفروا بمحمد، وتصدوا له دليل على أنهم جندوا كل قواهم، ومادام قد جندوا كل قواهم ثم انتهى أمرهم، إما إلى أن أئمة الكفر تطرح، والباقى يذهب إلى محمـد ليؤمن به. وبعد أن كان حربا عليه يكون سلاحا فى يده. كل هذا يـدل أن محمدا لم يستلب هذه الزعامة وإنما وهبت لـه من السماء وكـانت لها تبعـات لم يستفد منهـا هو، ولم يستفد منها واحد من بنيه ولا واحد من أهله.

أيضاً حين يقول رسول الله صلى الله عليـه وسلم إنى أدلكم على الإله الذى خلق، والـذى رزق، والذى سخر لكم كل مافى الأرض، ممـا لايدخل تحت قدرتكم، إنه الله ولا إله سواه مما تعبدونه من دون الله.

بعد ذلـك أعلنها فى لا إله إلا الله وأعلنهـا مدوية وأعلنهـا فى أذن سادة الجزيرة، ومعنى سادة الجزيرة ماكان يستطيع أى عربى أو أى قبيلة أن تقف فى وجههـا، ومحمد وحده، وحولـه قلة من الصحـابة المستضعفين يقولها لا فى أذن سادة مكة وحدها بـل فى أذن سادة الجزيرة كلها، سادة الجزيـرة المسيطـرون عليهـم فى رحلـة الشتـاء والصيـف للتجـارة، ولاتستطيع أى قبيلة أن تقف فى وجهها.

هؤلاء القـوم «محمد وحده» يصيح فى آذانهم ليهـد لهم ذلك الجبروت

وليدك لهم هذه السيادة، وليقول لهم إن الأصنام التى تعبدونها من دون الله لاتضر ولاتنفع، وإنما يجب أن تتجهوا إلى الله. هذا مايريده محمد وما يريده الإسلام بصيحته «لا إله إلا الله» وبعد ذلك ظلت الكلمة منكرة ممن كفر بها، ولم يدّع إله من الذين يدّعونهم أن يكون أمام هذا الإله ليقول لا، أنا الإله، وليس هذا هو الإله وظلت كلمة «لا إله إلا الله» بدون رد من إله آخر فإن كانت المسألة لأنه لا إله إلا الله صحيحة، إذن قضية الإيمان انتهت بالصدق، وقضية الإيمان انتهت بالواقع وإن كان هذا الكلام ليس صحيحا وليس حقيقيا، وفيه إله. ألم يسمع أن إلها قال إنى الإله الواحد، وأنه لا إله إلا أنا، أسَمِع أم لم يسمع؟

إن لم يكن قد سمع فيكون إلها نائما لم يدر مايحدث حوله.

وإن كان قد سمع فلماذا لم يتجه هو الآخر ويقول أنا الذى خلقت وأنا الذى رزقت ويكون لكل واحد منهما حجة وصاحب الحجة البالغة هو الغالب.. لم ينشأ هذا.

وظلت كلمة «لا إله إلا الله» وإن كفر بها قوم ليسوا هم الآلهة الذين كفروا، إنما الذين يدعون بأن هناك إلها.. الإله الذين تدعونه أين هو وقد قال الإله الحق لا إله إلا أنا ويقول الله:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ..﴾ أين هو؟

إذن إن لم يكن صدقا لا يصح أن يكون الها لأن الكون أخذ منه والربوبية أخذت منه وهو لايدرى، أو هو يدرى ولايقدر أن يواجه من أخذ الكون منه إذن هو لاينفع أن يكون إلها.

فقولنا «لا إله إلا الله» بدون معارض من الهة أخرى لا من أمثالنا، إذن تظل الدعوى لصاحبها قائمة إلى أن يقوم معارض جديد لينفى هذه الدعوى.

إذا أردنا أن نكتفى بهذا القدر ونردهم بحقائق الوجود إلى واجب الوجود وهو الله ويكتفون بهذا فلا مانع وإن لم يكتفوا بهذا القدر فنقول لهم، الدين الذى جاء حل لكم كثيرا من معضلات الحياة التى واجهتكم بمجهوداتكم أنتم.

علماء السلالات أو الأنساب حينما صنعوا الإحصائيات للسلالات وجدوا أن السلالات تصير دائما فى المستقبل إلى كثرة.

هم وقفوا عند هذه الظاهرة ولكنهم ما استطاعوا أن يتمشوا مع الظاهرة تمشيا إيمانيا ليهديهم إلى أصل الدين، لأنهم ليس عندهم فكرة الرجوع إلى دين.

لو كان لهم فكر أن يذهبوا إلى دين كان قد أصبح من الميسور على الباحثين والمفكرين والعقلاء الذين يستنبطون من مادة الأرض ومن التجارب والمعمل كان من الممكن أن يذهبوا إليه.

ولذلك الذى يضع الحقيقة الدينية نصب عينيه، وهو يبحث ينتهى دائماً إلى الإيمان.

ولكن الناس فى غفلة عن هذه المسألة.

نقول لهم إن العالم سكانه الآن ٥,٠٠٠ (خمسة آلاف مليون نسمة).

إذا كنا قبل قرن من الزمن كم كان عددنا؟ قدر أى عدد نقول ألف

مليون وقبل قرنين. خمسمائة مليون وقبل ٣ قرون سلسلها فى القدم فستنتهى إلى أنك كلما أوغلت فى القدم أنقصت فى العدد.

إذن التكاثر نشأ فى الاستقبال. ومادام التكاثر ينشأ فى الاستقبال، تكون القلة ناشئة فى الماضى، ونتدرج ونسأل أنفسنا كم كان العدد من عشرة قرون خمسة ملايين ومن ٢٠ قرنا ٢ مليون، ومن أربعين قرنا مليون إلى أن نصل إلى مائة إلى أن تصل إلى أقل عدد يأتى منه التكاثر وهو عدد اثنين ولانقول واحدا لأن الواحد لا يأتى منه التكاثر.

فمهما توغلنا فى الماضى فسنصل إلى العدد اثنين.

إذن انحل لغز التكاثر والسلالات والإنسان من الذى حله؟ الذى حله هو الدين، كيف ذلك؟

لقد حلّ فى آية من كتاب الله:

﴿يَا أَيهَّا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

إذن: انحل لغز السلالات والأنساب ولغز التكاثر فى الوجود، قضية لايمكن أن يجادل فيها إنسان وإلا كيف كنت؟

يمكننا من هذا المنطلق وهذه الحقيقة أن نرد على الذين يقولون إن الإنسان أصله قرد.

نقول لهم إن كل جنس موجود باستقلاله، فالدين الخالد هو الذى حل كل القضايا الأساسية فى الوجود التى سينتهى إليها الإنسان ببحثه مجردا عن التدين ليحل له هذه القضايا.

فقول الله تعالى:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ...﴾

وأيضا كيف تكلم الملحدون فنحن نتمادى معهم لنأتى لهم بالشبه التى يوردونها ويقولون أنتم تؤمنون بإله خرافى ليس موجودا نقول لهم الإله الذى تقولون عنه إنه خرافى هو الذى فسر لنا الحقائق التى وصلتم إليها.

هذا الإله هو الذى أوصلنى إلى هذه المعلومات.

أما محمد عليه الصلاة والسلام فقد بلغها لى فقط وإلا لو قلتم إن محمدا ليس برسول، فماذا تريدون أن يكون؟

تريدون أن يكون إلها، وهو لايرضى أن يكون إلها.

إنما هو قال أنا رسول من رب العالمين.

ليس لى من الأمر شىء، ولا أنسب شيئا لنفسى.

ونرتقى معهم فى المناظرة لنثبت لهم أن الكلام الذى يقولونه فرار من جدية البحث فى النظام ومقارنته بنظام إلى أن ينقلونا إلى شىء لا دخل له فى المناظرة ولا دخل له فى الجدل.

ولكننا دخلنا فيه فقط لنثبت لهم أنهم حمقى، وأنهم لايريدون أن يصلوا بالأمور إلى حقائقها لأن إيمانهم بإله يسيطر على الوجود كله وقانونه هو الذى يجب أن ينفذ ليمنعهم من أن يكونوا جبارين فى الأرض ومتسلطين ويمنعهم أن يكونوا حكاما آمرين بأهوائهم.

انتهينا من الرد على الذين يدعون أن هذا الكون خلق بطبعه وأنه لا إله وراء هذا الكون، خلقه ويدبره، وهو قيوم.

وقلنا إن الايمان بالله حل لنا كثيرا من أقضية الحياة، التى انتهى إليها العقل فى عهدنا المعاصر، ولولا وجود ذلك الدين وخصوصا دين الإسلام، لوجدت فى الكون حقائق، لا نستطيع تبريرها ولا نستطيع تعليلها، واذا كان هؤلاء الذين يرجفون حول الاسلام ليشككوا فى تعاليمه، وفى مبادئه، فإن لنا أن نأخذ قضاياهم الباطلة واحدة واحدة، لنرد عليها ردا نجعله مصلا إيمانيا، يعطى كل مسلم مناعة تطمئنه على دينه، وأنه دين لا يمكن أن يقوى عليه أى بطلان أو أن يغلبه أى تبرير، أشاعوا فيما وصلنى من الكتب أنهم يشيعون أن محمدا صلى الله عليه وسلم رجل كان يصيبه الصرع، وكل ما حدث مما قال إنه قرآن أو حديث قدسى أو حديث نبوى كل ذلك نتيجة الصرع.

وللرد على هؤلاء نقول باختصار: هل المصروع يمكنه أن يقول ويردد ما قاله حين صرعه؟ إن المصروع يفعل وحين يفيق ينكر ما فعل ولا يذكره، ولكن الذى حدث لمحمد صلى اللّه وعليه وسلم أنه كان حين يأتيه الوحى تراه فى منتهى الهدوء والسكون ولا يحدث له إلا ما يحدث من اضطراب لا نزوع له كلاميا.

فلم يجربوا عليه أثناء الوحى كلمة خرجت منه ولا تصرفا فى جوارحه وإنما يلاحظون أشياء كانت تحدث فيه وهو فى منتهى الثبات وفى منتهى الاستقرار وفى منتهى الاتزان، واذا ما انفصلت عنه هذه الحالة، حكى ما أوحى به اللـه له، والذى يدل على بطلان ذلك أنه كان يوحى إليه النجم

(الآيات) الطويل من القرآن طولا يستغرق وقتا طويلا ليحكيه ويقوله..

فإذا ما قاله كتبه كتاب الوحـى عنه، يجىء إليه الوحى بالقرآن فيقرؤه فى الصلاة، حين يقرؤه فى الصلاة يقرؤه كما كتب عنـه، فهل يوجد واحد يستطيع أن يأتى بكلام يستغرق الساعة فـأكثر ثم يقال له أعده كما قلته فيعيده كما قاله؟ لا شـك أنه حين قال فكُتب عنه وحين قال مـا كتب فجاء طبق ما قال دليل على أنه يصدر عن قضية قالها القرآن:

﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾

لأن هذا أمر خارج عن نطاق البشر، فهات أى إنسان ليتكلم ربع ساعة، ثم سجـل عليه ما تكلم بـه، ثم قل له أعـد على ما قلت، إن لم يكن حـافظا وربما إن كان حافظا أيضا فإنه ينسى ولا يستطيع إعادته طبق ما سجل عليه..

أما الرسول: نقول له هات لنا كلاما جديدا وقل لنا فيه، ثم سجل عليه ذلك، ثم قـل له أن يعيد ما سجل عليـه، فلا تجد فارقا بين ما قـاله فكتب عنه، وبين ما يردده فى الصلاة بعد أن كتب عنه.

أشاعـوا وقالوا إن كلامـا جاءنا عن محمـد يقول عنه إنه قـرآن.. مرة ويقول انه حديث قدسى ومرة يقول انه حديث نبوى..

جعلوا من ذلك مصـدر تشكيك، قالوا إنه كان حين يـروق له أن يقول ذلك قرآن، يقـول إنه قرآن، وحين يروق لـه أن يقول هذا حديـث قدسى، يقول: هذا حديـث قدسى، وحين هو يروق له أن يقول هـذا حديث نبوى، يقول هذا حديث نبوى. نقول لهم..

إن الذى أخذتموه لتجعلوه ضد نبى الاسلام هو فى صالح نبى الاسلام

ولكنكم قوم حمقى، وعادة يترك الله بعض الحق عند الأحمق لينبه على حمقه.

نقول لهم: هاتوا لى فى عالم الإنس إنسانا له موهبة القول وما دام له موهبة القول، سجلوا له ظاهرة أسلوبه، ثم سلوه أن يغير الأسلوب إلى أسلوب آخر، وسجلوا أسلوبا آخر، ثم اطلبوا منه أسلوبا ثالثا.

إنه لا يستطيع أن يخرج عن أسلوبه أبدا، لأن الأسلوب هو الطريقة اللازمة للشخص فى أداء المعانى، وما دامت له طريقة فى أداء المعانى فإن الأداء سيأخذ تشخيصا لا يمكن له أن يبرىء نفسه منه، فإذا ما جئنا بالأسلوب القرآنى، وأسلوب الحديث القدسى وأسلوب الحديث النبوى فسنجد أساليب ثلاثة، لا يمتزج فيها أسلوب بأسلوب، ولا يشتبه فيها أسلوب بأسلوب، أساليب ثلاثة لكل أسلوب خواصه ومميزاته وطبائعه..

فهل يستطيع بشر أن يجعل لموهبته الأدائية ثلاثة أساليب بحيث يقول أنا سأتكلم الآن أسلوب قرآن، وأتكلم الآن أسلوب حديث قدسى، وأتكلم الآن أسلوب حديث نبوى..

هذا لا يوجد فى طاقة بشر..إذن فهو كما هو القرآن يوحيه اللّه له، والحديث القدسى يوحيه اللّه له.

ولكن الفارق أن القرآن يأتى وحيا معجزا متحدى به.

والحديث القدسى يأتى أيضا من اللّه لكنه ليس متحدى به، ولا متعبدا بتلاوته.

وأيضا فالحديث القدســى لا يمكن أن نصلى به، ولا يمكن أن يكون إلا بطريقة من الطرق التى لم يجىء بها القرآن..

فمثلا القرآن جاء بطريقة واحدة هــى هذه الطريقة الثالثة فيما أخبر به القرآن نفسه بها حيث قال ﴿**وَمَا كانَ لبَشَـرٍ أن يُكَلّمَه اللّه إلاّ وَحْيًا أوْ من وراء حجَابٍ أوْ يُرْسلَ رَسُولا فيُـوحِىَ بِإذنه مَا يَشَاءُ**﴾ إذن كلام اللّه لخلقه لا يعدو هذه الثلاثة.

ومعنــى الوحــى إعلام بخفـاء، وهـذا هو الالهام كما يسميـه العلماء، وليس الـوحى المراد بـه جبريل. (مـا كان لبشر..) أى أن طبيعـة البشر لا يمكن أن تتلقى عن اللّه، لأن القدرة الممكنـة مستحيل أن تتلقى عن القدرة الواجبة المطلقة..

ولنضرب المثل لذلك «وللّه المثل الأعلى» ولنقـرب ذلك نقول إن الطاقات حينما تنتقـل من قـوى إلى ضعيف لابـد أن توجـد بينهما وسائط. هـذه الوسائط تأخذ من القوى لتعطى الضعيف.

فالقدرة الـواجبة المطلقة لا يمكن لبشر أن يتحملها، بـل لابد من إيجاد وسائط.

فالرسول صلى اللـه عليه وسلم يشترك مع إخوانه الـرسل فى أنه كان يتلقى عن اللّـه.. إما إلهاما.. وإما أن يكلمه الله مـن وراء حجاب.. وأما أن يرسل رسولا (جبريل) فيوحى بإذنه ما يشاء.

إذن هى ثلاث طرق فى توصيل الوحى إلى الرسل كل ما يمكن أن يكون من الاتصال بين اللـه وبين رسوله مرة يكون بالإلهام الـذى يسميه الله وحيا، ومرة يجىء الكلام مـن وراء حجاب كما حدث ليلة الإسراء، أو كما حدث لموسى حين كلمـه ربه ولكن القرآن لم يجىء إلا بطريـق واحد. هذا الطريق الواحد هو أن يرسل رسولا فيـوحى بإذنه ما يشاء، إذن فالقرآن لم يثبت إلا بهذا الطريق. ولكن الحديث النبـوى والحديث القدسى يثبتان بالطريقتين الأخريين.

* ولماذا حظى القرآن بهذا؟ لأن القرآن معجزة ومتحدى بها، فلابد أن يوجد وحى من الله، ليكون ذلك إلزاما.

لأنه إما أن تتغير طبيعته صلى الله عليـه وسلم بعض الشىء ليمكن أن تتقبل عن الوحى، وإما أن يتمثل له الوحى مرة كرجل.

وحينئذ تكون المسـألة خفيفة على رسول الله، لأن الـرسول صلى الله وعليه وسلم بقـى على طبيعته البشرية، وأمين الوحى هو الـذى انتقل من طبيعته إلى رجـل، كما حدث حينما جاء جبريـل إلى رسول اللـه صلى الله عليه وسلـم فى صورة صحـابى وسيـم الوجـه يسمى «دحيـة الكلبى» وأسند ركبتيـه إلى ركبتى رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم يسألـه عن الإسلام وعن الإيمان وعـن الإحسان، والرسول صلى اللـه وعليه وسلم يجيبه، ويقول له جبريل صدقت، ومعنـى أن جبريل يصدقه دليل على أنه يعرف الإجابة قبل أن يقولها الرسول صلى الله عليه وسلم.

* فقـال الصحابـة: عجبنا يسـأله ويصـدقه، فلما انصرف قـال لهم رسول الله صلى اللـه وعليه وسلم: هذا جبريل جاء يعلمكـم أمور دينكم،

وبهذا زال العجب عن الصحابة.

* إذن فالوحى قد يتشكل، وقد يحدث للنبى صلى الله وعليه وسلم فى ذاته ما يجعله أهلا لتلقى الوحى، فلذلك يقول الذين شهدوا نزول الوحى عليه إنهم كانوا يسمعون حول رأسه دويا كدوى النحل، وإنه كان إذا أوحى إليه وهو على دابته تكاد الدابة تنئط (تنخ) من ثقل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه إذا أوحى إليه ويده على فخذ أحد الصحابة فإنه يثقل عليه. وإنه كان يتصبب عرقا عند نزول الوحى عليه فى الجو البارد، إذن هناك تفاعل حدث فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت هذه الأحوال إيذانا بأن جبريل جاء ليقول له وحيا، ولكن الأحاديث القدسية والنبوية جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوحى بمعنى الالهام **(أو أن يكلمه الله من وراء حجاب)** ولذلك يجب أن نفهم أن اختلاف أسلوب القرآن عن الحديث القدسى، وعن الحديث النبوى، يجب ألا يكون مثار تشكيك، وإنما يجب أن يكون دليل ايمان على أن الرسول أعطى ثلاثة أساليب للأداء لايشترك أسلوب مع أسلوب ولا تشتبه طريقة أدائية بطريقة أدائية أخرى.

فطريقة القرآن لها خواصها المتحدى بها، والحديث القدسى له خواصه ولكن لايتحدى بها، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فيما نقل إليه جبريل عن رب العزة، أو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ألهم به عن ربه، لما استطعنا أن نفرق بين حديث نبوى وحديث قدسى، ولذلك رأى بعض العلماء أنه لايكاد أن يوجد فارق بينهما إلا أن الحديث القدسى توقيفى، أما الحديث النبوى

فبعضه تـوقيفى، وبعضه توفيقـى، يعنى يقول فيوافـق مراد الحق وإذا أراد الله أن يرسل رسولاً إلى خلقه ليرحمهم جميعا، هذه الرحمة تتمثل فى أن جعل مشقة التلقى عن الأعلى قاصرة على واحد، وإلا فلو أن هذه الحالة جاءت لكل واحد، وخـاطب الله كل إنسان لكان كـل إنسان تعرض لمشقة الوحى، ولكنه اختـار بعض خلقه «وأعدّهم على عينه»، حتـى يكونوا أهلا لهذا التلقى. ومع ذلك أصابهم شىء مـن التعب، ندرك ذلك من قول الحق **﴿ألمْ نَشْـرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْنَا عَنـكَ وِزْرَكْ الّذى أنقَضَ ظَهْرَكَ﴾** وإذا قرأنـا هذه السـورة وجدنـاها بعـد سورة الضحـى فى قولـه تعالى **﴿والضُحَى والّليْلِ إذَا سَجَى مَاودّعكَ رَبُكَ وَمَاقَلَى......﴾**

حينما فتر (تأخـر) الوحى عن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لأن الوحـى كان يجىء بتبعاتـه، وكان يجىء بمشقـاته حتى أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم كان إذا نـزل عليه الوحى يقـول زملونى زملـونى دثرونى، أى كأنه يصيبه شىء من الحمى.

إذن فهذه متـاعب تحملها رسول اللـه صلى الله عليه وسلم، عـن أمته ليأخذ عن اللـه، ولو أن الله أراد أن يخاطب كل الناس كما خـاطب رسول الله لكان فى ذلك العنت والمشقة على الجميع..

ولكـن الله اصطفـى واحدا ليحملـه هذه المهمـة، مهمة تلقـى الوحـى بتبعاته ومشقاته.

ومع ذلك أعده الله ذلك الاعداد الذى يناسب هذا التحمل ولم يسلم من المتاعب والمشقات التى يقول عنها الحق فى كتابه **﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الّذى أنقَضَ ظَهْرَكَ...﴾**

إذن فالشيء الذى كان يأتى أولا بالمشقة، صحيح وواقع من الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الفترة الثانية من الوحى لم تكن المتاعب التى حدثت له فى الفترة الأولى هى المتاعب التى تحدث له فى الفترة الثانية، ولذلك قال الله فى سورة الضحى

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الأولَىٰ...﴾

لأن أول علاقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحى كانت الدربة صعبة والريادة مشقة.

لكن حين يفصل الوحى عن رسول الله، وبعد ذلك يذوق رسول الله حلاوة ماألقاه الله إليه من أمر الوحى بعد أن يهدأ تعبه يعجبه مأخذه، فلما يعجبه مأخذه فتر عنه الوحى، لتوجد فى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاقة اشتياقية.

الطاقات الاشتياقية فى النفس البشرية تحمل كثيراً من المتاعب وتغسل كثيراً من الجهد.

فإذا ماكان الإنسان يتحمل شيئاً من المشقة فى سبيل أن ينال شيئاً من الخير، يتعب ساعة تناله المشقة، ولكنه حين ينعم بذلك الخير، يتمنى أن يحدث له ذلك مرة أخرى..

هذا التمنى يصوره لنا بعض الفلاسفة تصويرا عظيما، يقول هب أنك رأيت شجرة من التفاح على جبل، الصعود إلى هذا الجبل صعب، ولكنك تحملت التعب والمشقة فوقفت مرة، وتشبثت بالصخور مرة، ووقعت مرة أخرى، ونالك مانالك من رضوض أو جروح، ولكنك فى النهاية وصلت إلى الشجرة، فأخذت منها ثمرة ونزلت بهذه الثمرة، حين تهدأ،

ويهدأ مانالك من التعب وحين تأكل الثمرة يحدث لك شوق أن تصنع مثل ذلك.

هذا الشـوق يوجد لـك طاقة ثـانية فوق طـاقتك الأصيلة ويلهيـك عن المتاعب أو يغريك بتحمل المتاعب.

فإذا ماألهاك عن المتـاعب أو أغراك بتحملها، لأنك كنت قبـل هذا الأمر متعبا قبل أن تدرك لذة. ولكنك الآن تعب بعد أن تدرك اللذة.

فاللـذة التي أدركتها نتيجـة التعب الأول هـى التى سهلت لـك التعب الثانى.. لذلك كان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم حينما جاء له الوحى أولا، لم تأت الثمرة وإنما جاءت متخلفة بعد، فلما جاءته الثمرة. جعل الله له فترة وحى ليجـد طاقة من الشـوق وطاقة من الحنين عنـد رسول الله صلى الله عليـه وسلم لحلاوة مـا يصله من اللـه، هذه الحلاوة والطـاقة يسرتا لـه كثيرا من المتاعـب، ولذلك لم يعد يتعـب بعد ماحـدث بعد فترة الوحى لايقـول زملونى ولايقول دثـرونى ولاترجف بـوادره، ولايقول غطنى جبريل حتى بلغ منى الجهد، كل ذلك لم يحدث بعد فترة الوحى.

إذن قول الله ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْـرٌ لَكَ مِنْ الأولَىٰ...﴾ لماذا لأنك قد أخذت لذة من المتاعب الأولى.. هذه اللذة يسرت لك فيما بعد أن تأتى وتشتاق إلى الوحى ليأتى لك من جديد..

ولـذلك يقـول الحق ﴿والضُحَى واللّيْل إذَا سَجَى مَـاودّعكَ رَبُّـكَ وَمَاقَلَى......﴾ إنما صنـع ذلك لحكمـة لا لتـوديع ولا لقلى (بغـض) ولا لهجر، وإنما لتربيـة الاشتياق فى نفسك حتـى يسهل عليك أمـر استقبال متاعب الوحى فلا تجد بعد ذلك هذه المتاعب.

إذن فالحق سبحانه وتعالى حينما يعطى رسـوله صلى الله عليه وسلم من فيضه، يعطيه عطاءات متعددة، عطاء هو قرآن ويقول ربه له تحد به، وعطاء آخـر أحاديث قـدسية ليست للتحدى ويعطيـه عطاء يفوضـه فيه وهو الحديث النبوى..

وليس الحديث النبوى كلاما فحسب ولكن إن رأى الرسول غيره تكلم فسكت الـرسول.. فهذا إقـرار له منه على مـافعله.. فيكـون حديثا نبـويا أيضا.

إذا فعل صحابى فعـلا ووافقه الرسول على فعله يكون حـديثا، ولكن الأحاديث النبوية إمـا توفيقية وإما توقيفية، فالحديث القـدسى توقيفى من الله، بدليـل أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين يعـرضه، يعرضه مسند إلى رب العـزة، فيما يرويه عـن الله، ومـادام يرويه عـن رب العزة فهذا هـو السند وفى نفس المتـن للحديث مـا يدل على أنـه حديث قـدسى فحينما يقول فى الحديث القـدسى (يا عبادى..) إذن مـن الذى ينادى إنما هو اللـه، كما يقول فى الحديـث القدسـى عن رب العـزة «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا..**»

«**ياعبادى لـو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كـانوا على أتقى قلب رجـل واحد مـازاد ذلك فى ملكـى شيئا**» الخ الحديث، وكقـوله فى الحديث القدسى «**أنا الله ملك الملوك قلـوب الملوك ونواصيها بيدى**» إذن متن الحديـث يوحـى بأن الله هـو الذى يتكلم. فـالحديث القـدسى توقيفى يعنى عـن الله مباشرة ولكن أحاديثه صلى اللـه عليه وسلم فيها ماهو توقيفـى، أوحى الله إليه أن يقول بمعانيـه، أو يقول النبى صلى الله

عليه وسلم فيوافـق أو يعدل ولذلك من ضمن الأشيـاء التى كتب إلىّ فيها أنكم تقـولون إن نبـى الإسلام لا ينطـق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْـىٌ يُوْحَى﴾.

فكيف تقولون ذلك مع أنه ثبـت عندكم أن الله غير له كثيرا من الأحكام التى قـالها، سؤال تجد فى ظاهـرة وجاهة ومـع أن الرسول لاينطـق عن الهوى ومع ذلك يعدل له، فقبل أن يعدل له مـاذا كان؟ لو أنه كان بالوحى لما عدل، ومـادام قد عدل فيكون قـد صدر ببشرية محمد صلى اللـه عليه وسلم، فكيف يقول ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهُوَى﴾.

نقول لهم أنتـم عندكم غبـاء، وإذا لم يكن عندكـم غباء، فعندكـم سوء قصـد وسوء نيـة، أو تحريف للحقـائق وللألفـاظ لأنه يجب أن يفهمـوا معنى قوله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهُوَى﴾.

الله فوضه أن يقـول، أيده أن يقول، بدليل أنه قـال له فى القرآن ﴿وَمَا أتاكُم الرّسُولُ فَخُذُوه.. وَمَا نهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا..﴾

إذن فالرسول مفوض من الله، ولذلك كان بعض العلماء إذا ماسئل عن حكم لايوجد فى القرآن نص عليه وإنما هو من فعله صلى الله عليه وسلم، يقولون له هات لى دليلا مـن القرآن على أن الفجر ركعتان وعلى أن الظهر أربع ركعات والعصر أربـع ركعات والمغرب ثلاث ركعـات والعشاء أربع ركعات.. هات دليلا من القرآن على هذا، أو على الصلوات التى فرضها الله خمس صلوات.

كان يقـول الدليل على كـل ذلك قول اللـه تعالى ﴿وَمَا أتاكُم الرّسُولُ فَخُذُوه ومَا نهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا..﴾ فالرسول مفوض فى الأمر أن يبينه،

فالله شرع الصلاة إجمالا، وترك للرسول أن يبينها تفصيلا، عدد أوقات وعدد ركعات وهيئات كل ذلك بمبدأ ﴿وَمَاآتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذوه..﴾ وأنا كنت أقول لهم هاتوا لى نصا فى الدستور يقول إن الموظف الذى يتخلف عن العمل خمسة عشر يوما يفصل لا يوجد نص فى الدستور على هذا أبداً، ومع ذلك ينفذ الفصل «لأن الأمور التفصيلية للدستور الاجمالى ترجع إلى الوزير أو الرؤساء أو القانونيين.. فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء إليه الأمر الكلى من الله أو الأمر الإجمالى من الله، وبعد ذلك قال ﴿وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْه فَانْتَهُوا..﴾

فأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة للقرآن كاللائحة التنفيذية للدستور أو القوانين المكملة لمطلوبات الدستور.. فهؤلاء الملحدون اجترأوا على القرآن وعلى رسول الإسلام وعلى أئمة الإسلام وقالوا: الشافعى ومالك وابن حنبل وأبو حنيفة كل أولئك لانعترف بهم وبعد ذلك اجترأوا على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ولذلك تحدث القرآن عن الأمور التى طلب الله من عباده فيها الطاعة فقال ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فكرر أمر الطاعة بالنسبة لله وبالنسبة للرسول ومرة يقول ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ..﴾ لايكرر أمر الطاعة ومرة يقول ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ..﴾ فقط مما يدل أن تشريعات الله التى أمرنا الحق بأن نطيعه فيها تشريع اشترك فيه الحق وشرع، والرسول شرع..

إذن نطيع الله ونطيع الرسول.

وحكم آخر شرعه الله وبينه الرسول.

وحكم آخر لم يشرعه الله لا جملة ولا تفصيلا وهو ماانفرد به الرسول صلى الله عليه وسلم.. لأن القرآن لم يأت كتاب تشريع فقط وإنما جاء كتاب معجزة أيضا وجاء بالتشريع إجمالا، وترك التفسير والتفصيل لما أجمل لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

واستطرادا فى ردودنا على المرجفين حول جزئية وهى قولهم ان الرسول لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ومع ذلك يعدل الله له وحينما يعدل الله له أيهما كان من الوحى؟

فاذا كان الوحى بالأول والثانى (قبل التعديل وبعده) فقد تعارضا.

وإن كان الوحى بالثانى دون الأول فقد نطق الرسول بغير الوحى..

نقول لهم.. لو فهمتم معنى قول الله تعالى ««﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾.

الوحى أن يجىء بالأمر تفصيلا وبذلك لا يوجد للرسول فيه عمل.

واما أن يوحى الله الأمر إجمالا ويعطى قضية تفويضه للرسول صلي الله عليه وسلم بأن يشرع،كما قال ﴿ وَمَا اتَاكُم الـرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾.

فان حكم بحكم وجاء الله تعالى فعدله وصوبه له كان دليلا على أنه فيما فوض فيه فحكم فيه رسول الله بما تقتضيه الفطرة والطبيعة الإيمانية، ولكنه لم يأخذ هناك حكما من الله فعدل عنه رسول الله ليخدم عنه هوى فى نفسه.

هذا هو معنى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى﴾ لم يكن هناك حكم من الله

فعدل عنه رسول اللّه الي هوى يحققه ولكنـه بمقتضى التفويض من اللّه قال بالفطرة الايمانية البشرية..

وبعد ذلـك يبين اللّه تعـالى أن رسول اللّـه صادق فى البـلاغ عنه فى أن يترك رسول اللّه ليقول بالفطرة البشرية بالمقاييس التى تقتضيها الفطرة الايمانية للرسول.

ولكن اللّـه أعلى حكمة مـن الرسـول فيعدل لـه حتى نفهـم أن اللّه لم يفوضه ويتركه لبشريته ليقول كما يشاء.

فاذا ما جـاء بشىء فالبشرية تحكم عليه على مقتضـى حكمتها، ولكن اللّه يعدل له.

فاذا مـا قال الرسول إن ربـى عدّل فى الحكم دل ذلك على أن الـرسول صادق فى البـلاغ عن اللّه وأنـه لا عزة لـه مع ربه ولا كبريـاء عليه فى أن يصوب له ربه لأن من الذى يصوب؟

الذى يصوب هو اللّه لرسوله.

إذن فكل ذلك ليثبت أنه مأمون حتى فى حالة خطئه.

أما فى حالة أنه لا يوافق الحق فإننا نقرر أنه لم يخطىء.. لأن..

الخطأ أن توجد عندك قاعدة صوابية ثم تخالفها

فيحاول المصحح أن يقول لك إن هذا خطـأ لأنه لا ينسجم مع القاعدة الصوابية التى أعطيت لك.

فإذا قلنا للتلميذ إن الفاعل مرفوع ثم بعد ذلك صوبنا له.

حين نصوبه يقال إننا عدلنا عنده الخطأ لأن عنده قاعدة صوابية، وهى إن الفاعل مرفوع..

ولكن الرسول فى الأحكام التى عدلت له لم يكن فيها حكم من اللّه بل هو يقول بمقتضى التفويض والفطرة البشرية.

ولكن اللّه يعدل له، ويدل ذلك على أن اللّه لم يفوض رسوله ثم يتركه.

ولكنه إن وافق الحق تركه وإن لم يجد ما يوافق الحكمة العليا عدل اللّه الحكمة البشرية بالحكمة الربانية..

فاذا ما قال الرسول بعد ذلك علمنا أنه مأمون، لن يستحى أن يقول: اللّه صوب لى الحكم.

التبنى

وذلك دليل على أنه مأمون فى كل ما يقوله.

إذن فإن قول اللّه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوى ﴾ ليس معناه أنه لايقول إلا ما يقوله اللّه، لا.

لم تكن عنده قضية فخالفها ليخدم هواه، فإن وافقت الحق أقرها اللّه تعالى، وإن لم توافق الحق سبحانه وتعالى يعذر الرسول فى استنباطه.

ولذلك مثلا نجد قضية قرآنية وهى أن زيد بن حارثة كان عبدا وهبته خديجة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فلما وهبته له وصار مولاه جاء أبوه وقد عرف أنه فى مكة وأراد أن يأخذه من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فخيره رسول اللّه بين أن يذهب إلى رسول اللّه أو أبيه.

فانظروا إلى حب زيد لرسول اللّـه صلى اللّه عايه وسلم ماذا قال؟ قال: ماكنت لأختار على رسول اللّه أحدا.

ولم يرض أن يذهب مع أبيه وظل مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأراد الرسـول صلى اللّه عليه وسلم أن يكافىء بحنـانه البشرى زيدا على ذلك فدعاه زيدا بن محمد بدلا من زيد بن حارثة.

اللّه لم يوافق على مسألة التبنى فى الإسلام وأراد أن يبطلها عند محمد وغيره.

ولكنه جعل الرسـول أسوة فى إلغـاء هذه القضيـة وهى منـع التبنى ﴿ادْعُوهُم لآبَائِهِمْ﴾.

أكان هناك حكم أول للتبنى ثم عدله الرسول بحنانه؟

لم يكن هناك حكم فى هذا وإنما صنع محمـد صلى اللّه عليه وسلم ذلك ليرد به جميـل زيد فى أنـه فضله على أبيه. لـذلك كـان اللّه وهـو حكيم فى الأسلوب أنصـف رسول اللّه « ادعـوهم لآبائهـم هو أقسط عنـد اللّه ».. أقسط أفعل تفضيل أى أكثر قسطا.. أكثر عدلا.

إذن الذى فعله محمد لم يكـن جورا لو أنه قال (ادعوهـم لآبائهم ذلك هو القسط عنـد اللّه) لكان ما فعله الـرسول جورا.. وكان قسطـا يقابله جورا.

ولكن قال ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ﴾ يعنى يا رسولى إنك فعلت ما يوجبه القسط لأنك أردت أن ترد جميل زيد وذلك عدل.

ولكن عندى قضية أعدل. ﴿ ادْعُوهُم لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ فَإِنْ

لمْ تَعْلَموا ابَاءَهُمْ فَإخْوانُكُمْ فِى الدِّينِ﴾.

إذن وصفه الله بالحكمة، الذى ينظـر نظرة سطحية للأسلوب يرى أن الله عدل له.

ولكن علينا أن نفهم معنى « هو أقسط عند الله ».

ومن هنا فإن محمدا بـدعوته إلى زيد بن حارثة وقولـه زيدا بن محمد ذلك عدل على طريقته ولكن الله فوق محمد أعدل.

ومحمد لايستنكف أن يعدل له حكما أو يصوب له حكما ذلك هو معنى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهُوى﴾.

وأيضا يقولون افتراء: إن ذلك صرع فنقول لهم:

هاتوا لنـا أى مصروع فى الكون لينشىء لنا من آثار صرعـه ذلك النبع المحكم الذى يحكم حركة الدنيا كلها من كلمة لا إله إلا الله إلى إماطة الأذى عن الطريق، أذلك يكون حصيلة إنسان عنده صرع كما تقولون؟

« لا » إنكم أنتم الذين تفترون هذا الافتراء.

وبعد ذلـك يتطرقـون إلى أشياء أخـرى متعلقة بشخصيـة الرسـول. يريدون أن يزهدوا فى رسول الله، فيضعوا له أشياء يجعلونها عليه محل المؤاخذة واللوم.

ليسقط أثره فى نفوسنا.

نقول لهم لا.. أنتـم تأخذون القضايـا وتقيسونها بقضايـا تضعونها للكمالات من عندكم.

ومادمنا آمنا به رسولا: فلا نؤمن به رسولا ثم نضع فيه صفة الكمال من نفوسنا لنزن الأمور التى نعملها على مقاييس كمالنا.. لا.. هذا لا يجوز لأن الكمال.. مافعله.

فعل أم لم يفعل؟

فإن كان قد فعل، فإن الفعل هنا هو الحجة.

لأننى آمنت بأنه رسول، ومادام رسولا.. إذن ربنا قد ائتمنه على أن يبلغ منهجه.

ومادام قد ائتمنه على تبليغ منهجه، إذن كونه أمينا على نفسه أولى من كونه أمينا على غيره.

إذن أنت لا تناقش على موازين تدعى أنها موازين الكمال ثم تنسب فعل رسولنا إليها وتقول إنها غير كاملة.

أول هذه الاشياء مسألة..

تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم

هذه مسألة تأخذ حيزا واسعا فى الحملات ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة إذا أرادوا أن يقارنوا بينها وبين رسولهم الذى لم يتزوج. أنت مادمت قد كذبت رسولا فلماذا تلومه؟

اللوم يأتى من أنك آمنت به رسولا ثم استكثرت على الرسول أن يفعل ذلك.

فإن كنت قد آمنت بالرسول فإن استكثارك هذا ليس لك حق فيه.

لماذا؟ لأنك مادمت قد آمنت أنه رسول فمقياس الكمال عنده.

مادمت قد كذبته رسولا فلماذا تؤاخذه إن فعل أو لم يفعل؟

الذى يؤاخذه إن فعل أو لم يفعل إنما يستكثر أن يفعل لأنه رسول والقضية الأساسية عندك أنه ليس رسولا عندك.

فكان يجب ألا تلومه على تصرفه.

ومن هنا لم يكن مستوى النقاش عندنا وعندكم مستويا لأنك تنظر إلى فعل معزول عن رسول اللّه وأنا أنظر إلى فعل منوط برسول اللّه.

فقداسة الرسول عندى تجعل لفعله تفسيرا عندى غير تفسيرك عنه، وإذا أردنا أن نناقش القضية مناقشة موضوعية..

هل جاء الرسول والناس يعددون؟ أم جاء ليشرع التعدد فى الزوجات؟

الرسول إنما جاء على قوم يعددون.

إذن فإنه حين عدد لم يكن بدعا فيما يعدد، وهذه إن لم يكن سبقه رسول لم يتزوج فقد سبقه رسل كثيرون تزوجوا أعدادا متعددة..

فلماذا تجعلون الواحد هو المرجح ولا تجعلوا الكثرة هى المرجحة..

الواحد الذى لم يتزوج إنما جاء لحكمة.

والسابقون قبله عددوا لحكمة..

فالرسول صلى اللّه عليه وسلم لم يشرع التعدد، إنما كان التعدد نظاما قائما له ولكل الناس، لكن الرسول صلى اللّه عليه وسلم إن اختلف الأمر فيه بالنسبة لمن تبعه من المؤمنين.

فإن الرسول قال إن الله أمره بأن يقول لمن تزوج أكثر من أربعة أن يمسك أربعة ويسرح الباقى.

هذا كلام واضح للتابعين للرسول.

ولكن الإباحة للتابعين للرسول لمعدود أم لعدد؟..

الإباحة لأتباع الرسول كانت لعدد كان أربعة فإن ماتت واحدة يأتى بواحدة مكانها، طلق واحدة يأتى بغيرها لأنه يباح له العدد، طلق أربعة يتزوج أربعة. إذن فتابع الرسول له العدد.. أما الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له العدد وإنما له المعدود.. والفرق بين العدد والمعدود أن المعدود إنما أبيح للرسول بذاته بحيث لو ماتت واحدة لايأتى بواحدة مكانها، وتابعه إن ماتت واحدة يأتى بواحدة مكانها وإن مات الأربعة يأتى بأربعة ولكن إن مات الجميع عند الرسول فليس له أن يتزوج ولا واحدة.

إذن أبيح له عدد أم أبيح له معدود؟ مادام قد أبيح له المعدود ﴿لاَ يحَلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تُبَدّل بهِنَ مِنْ أَزَواجٍ﴾ ذلك حكم ليس لتابع من أتباع محمد، إذن فالعدد الأربعة قد يدور عند تابع محمد فى أربعة بمعنى أن يتزوج أربعة ثم يطلقهن ثم يتزوج غيرهن. فالعدد دائر ولكن عند رسول الله غير دائر فهو محصور بهؤلاء فلو متن جميعا لايحل للرسول الزواج بعدهن بواحدة.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج واجتمع عنده تسع زوجات، حين شرع الله تحديد الزوجات بأربع.

كان رسـول الله صلى اللـه عليه وسلم إمـا أن يحتفظ بـأربع ويسرح الخمسـة وحين يسرح خمسـة إنهن أمهـات المؤمنين وأمهـات المؤمنين محرمـات على أى واحد آخـر من المؤمنين.. ازواج النبـى صلى اللّه عليـه وسلم أمهـات للمؤمنين ومـادمن أمهـات للمؤمنين فـلا يحل لواحـد أن يتزوج بواحدة منهن..

اذن لو احتفـظ الرسـول بأربعـة، وسرح الخمسة لم يتـزوجن لأنهن محرمات على جميع المسلمين لأنهن أمهات لهم..

وأباح لأمته أن الذى عنده أكثر من أربعة يمسك بأربعة ويفارق الباقى لانه يمكن أن يصبحن زوجات لازواج أخر. ولكـن ذلك بالنسبة لزوجات الرسول صلى اللّه عليه وسلم يصبحن محرمات.

إذن لابد أن يكن مستمرات زوجات لرسول الله صلى اللّه عليه وسلم.

وأيضـا فـالمعنى الـذى يريد أن يغمـز به أعداء الإسـلام رسولنـا أمر مرفوض فى تاريخنا.

لأن الرسـول صلى اللّه عليه وسلم وسنه ٢٥ سنة تزوج امرأة فى سن الأربعين من الكهولة قبل أن يبعث بفارق ١٥سنة.

رغم أن المعروف أن الرجل يتزوج عادة بمن كانت دونه فى السن.

وظل مـع خديجة حتى مـاتت ونعرف أنـه عندمـا ماتت خـديجة مر الرسول صلى اللّه عليه وسلم بعام اسمه « عام الحزن ».

مات عمـه وماتت خـديجة فكان ولابد أن يتـزوج بمن تقوم بخـدمته فتزوج سودة بنت زمعة..

امرأة تقوم بواجبات الزوجية.

ولكنهـا بعد أن يتـزوج الرسـول بها يعقـد على عائشـة وسنها سـت سنوات ويدخل عليها فى سن تسع سنوات.

اذن فكانت صغيرة لا تشتهى.

فالاحتمال الجنسى أو العاطفى ممنوع هنا.. ثـم نجد من زوجاته من تتبرع لضرتها بليلتهـا «مع حـرص المرأة على أن تحتفظ بـالزوج» فهـذه شهادة منها بأنها لا تصلح فى ذاتها لأن تكون امـرأة يقضى معها الرجل ليلته.

وهذا يـدل على أنها تزوجـت بمعنى غير هذا المعنـى نهائيا بـدليل أنها تبرعت بليلتها لعائشة.

فكأنها فهمـت من نفسهـا أنها لا مصلحة لها ولا لـرسول اللـه إلا أن تكون أما للمسلمين ويعد هذا وساما من الأوسمة.

كذلـك نجد أم سلمـة وعندهـا أولاد كثيرون من زوجهـا أبى سلمـة. الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يجعلها أما للمؤمنين ويريد أن يلقن الناس درسا بأن الإنسان عندما يصاب فى عزيز يقول ﴿ **إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِليه رَاجِعُون** ﴾ ﴿ **اللَّهُمَ أجُرَنِي فِي مُصِيبَتِي وأخْلِفْنِي خَيْرًا مِنْهَا** ﴾.

حين مات أبو سلمـة وكانت أم سلمة تحبه قال لها الـرسول صلى الله عليه وسلـم قولى ﴿ **إِنَّا لِلَّـه وَإِنَّا إِليْـه رَاجِعُون** ﴾ ﴿ **اللَّهُـمَ أجُرَنِـى فِى مُصِيبَتِي واخْلِفنِي خَيراً مِنْهَا** ﴾ **فَقالتَ.. أهناك خير من «أبى سلمة؟»**

فكان رسـول الله صلى الله عليه وسلـم يعلمها أن هذا الدعـاء لابد أن

يأتى لها بخير من أبى سلمة.

وحين يكون الذى هو خير من أبى سلمة هو رسول الله فهذا لا يطعن فى أبى سلمة ولكن حينما يكون غير رسول الله فان هذا يخدش أبا سلمة حين يقال إن محمدا رسول الله قد أخذ امرأة هى زوجة أبى سلمة وأصبحت أم سلمة أما للمؤمنين هذا يرضيها ويرضى أبا سلمة.. فاذا برسول الله يخطبها لنفسه فقالوا لها «وجدت خيرا من أبى سلمة؟» فضحكت وقالت: نعم وهل يجادل فى ذلك أحد؟!

ومن هنا فإن لكل زيجة من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم قضية إيمانية يريد أن يثبتها الرسول فى قلوب المؤمنين.

مثلا حفصة بنت عمر يعرضها أبوها عمر على أبى بكر، وعلى عثمان فيحز فى نفس عمر أنه يعرضها ولا يقبل أبو بكر ولا يقبل عثمان أن يتزوجها.

وبعد ذلك يتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذها لنفسه.

إذن هذا تطييب لمن؟

تطييب لقلب عمر الذى كان فى نفسه شىء حينما عرضها على أبى بكر وعرضها على عثمان فلم يقبل واحد منهما.

فدل ذلك على أن الإنسان إذا ما استقبل قدرا من قدر الله بالرضى عنه من الممكن أن يبدله بخير منه.

كل واحدة من هؤلاء لها قصة مع الرسول صلى الله عليه وسلم:

إذن فالزواج من رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن يلحظ فيه

أن الرسول لم يُوسع فى ذلك.

ولكن بتعبيرنا ضيق عليه فى ذلك لأن الذى له أربعة من أتباع الرسول من الممكن أن يبدلهن إن ماتت واحدة أو طلقها.

ولكن الرسول لا يستطيع أن يتزوج غير التسعة ولو متن جميعا لا يستطيع أن يتزوج ولا واحدة.

ذلك ما يمكن أن نرد به على من يقول ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لابد أن نفسح المجال لمثل هذه الأشياء حتى نوضح للمسلمين ما قد يجدون فى نفوسهم من هذه المسألة شيئا ، يكون أعداء الإسلام قالوه فقد خدموا الإسلام أكثر مما يعتقدون أنهم هدموا الإسلام أو شوهوا بها نبى الإسلام..

الحل الإسلامي لقضايا المرأة

الفصل الرابع

عمل المرأة

وهم يقولون أيضا على الإسلام بأنه دين جاف جامد. يريد أن يجحد نصف المجتمع لأنه لا يجعل للمرأة حركة فى الحياة.

نقول لهم إنكم لم تفهموا الاسلام وتحاولوا أن تربطوا بين تصرفات رسول الله صلي الله عليه وسلم للمرأة فى عصره وبين التصرفات التى توجد للمرأة الان فى العصور الحديثة.

فكلما خرجت المرأة لعمل أو أى شىء يقولون إن المرأة خرجت للجهاد وعملت كذا.. وكذا.. ولم يضعوا كل حدث فى مجاله ويقولون أيضا إنها خرجت للحرب حتى يبيحوا للمرأة أن تجند.

ومادامت المرأة تجند تصبح مثل الجنود ويقولون لك إن فلانة كانت.. تقول إنها كانت تمرض.. كانت تداوى الجرحى.

وهذا لون من الاختلاط له نظير عندنا لأن الاختلاطات حين تكون محوطة بشىء من العقيدة تحول عن مضار الاختلاط..

ففـى الحج اختلطت المرأة والـرجـل فى الطواف وفى أعمال الحج وقـد تطوف وتجد نفسك لاصقا بامرأة وأنت لا تدرى.

ولكن استحلفك بالله: الرجل الـذى كان ينتظر طول حياته ويتمنى أن يحج مرة واحدة فى العمر يحاول أن يكفر بها خطاياه ويغسل بها ذنوبه.. أفى هذا الوقت يمكن أن يفكر فى امرأة؟!

إننا جميعا جربنا ،إننا قد نجد أنفسنا وسط نساء دون أن نشعر بهن، إذن فالموقف يبتعد عن الموقف الذى يفكـر فيه الرجل أن يجتمع بالمرأة فى مكان.. ما.

كذلك الحرب عملية فيها قتال وجراح وقتلى ومع ذلك ظلت المرأة تؤدى هذا الواجب وهى تحاول جاهدة ألا تأخذ من الموقف أكثر من الدور الذى تقوم به.

ألم تذهب الى الكافر لتقتله؟ ولما قتلته قـالت لحسان أنا قتلت انزل الان واسلبه يعنى خذ سلبه « الغنيمة التى عليه ».

والله ما منعنـى من أخذ سلبه إلا أنـه رجل، فقد قتلته وحين قتـل فقد الحس والحركة، ألا يمكن أن تتقـدم منه وتأخذ ما معه مـا دام ميتا ومع ذلك تحرجت أن تأخذ سلبه. وقالت لرجل اذهب أنت لأنه سيلتصق به.

إذن هى أخذت الضرورة بقدرها ولكننا لا نـأخذ من الضرورة بقدرها ونقول قضية مسلمة.. ويقول بعد ذلك إن المرأة كانت تعمل و.. و.. تعمل مـع من ؟ يتكلمـون عن أسماء أنها كـانت تخدم فـرس زوجها وتسقيـه وتأتى له بالنار ولكن تعمل لمن؟

تعمل لزوجها.

ألا تعمل المرأة الآن والشرع يقرها مع أبيها ومع زوجها ومع أولادها ومع محارمها..

ألا تعمل المرأة مع بنات جنسها الذين يريدون ألا يحرموا المجتمع نشاط نصفه كما يقولون..

لماذا لا يجعلون للنساء مجالا فى حرفهن ويكن هن العاملات وهن المديرات وهن المشرفات؟! إذن نريد أن ننتفع بالمرأة فى مجالها وفى نشاطها الذى يصون لها كرامتها وعفتها.

إن قضية المرأة يجب أن تدرس فى إطار من الواقع التكوينى الخلقى، قبل أن تبحث من الناحية الخلقية.

فالتكوين الخلقى للمرأة يجب حين نعرفه جيدا أن نقارن بين وظيفة المرأة فى الاسلام وبين ملاءمة تلك الوظيفة بالتكوين الخلقى لها، فإذا ما شئنا أن نبحث هذا الموضوع وله شاهد من واقع الحياة نقول:

المرأة نوع من جنس. ومعنى أنها نوع من جنس أن هناك جنسا يجمعها هى والرجل. هو جنس الإنسان والإنسان كما نعرفه فى التعريف المنطقى حيوان ناطق، وناطق يعنى مفكر... مفكر يعنى له أن يختار بين البديلات. وحركة الحياة لا تتطلب عملا واحدا، يعمل النوعان للجنس ولكنها جعلت لكل نوع مجاله.

وإذا ما نظرنا إلى المتحرك نجد أنه هو الذى يقوم بحركة. والحركة دائما تحتاج إلى الزمان والمكان، والزمن إما حاضر أو مستقبل أو ماض،

والمكان.. ظرف ثابت. الحدث يحتاج إلى الظرف (الزمان والمكان). ومادام الظرفان (المكان والزمان) للحدث، والحدث لابد أن يكون من متحرك ينفعل بالحدث، إذن هناك ثلاثة أشياء: متحرك، وحركة والحركة تقتضى زمنا ومكانا..

لو نظرنا إلى الوجود كله لوجدنا الزمن عندنا فى تقسيمه العام ينقسم انقساما بينا بآيتى الليل والنهار ثم ينقسم الليل إلى جزئيات والنهار إلى جزئيات إلا أن جزئيات النهار يجمعها قاسم مشترك وهو الضوء وجزئيات الليل يجمعها قاسم مشترك هو الظلمة. فالظلمة تجمد الحركة ويصحبها السكون، اذن فالمتحرك لابد له من زمان ولابد له من مكان. والزمان ينقسم إلى قسمين قسم يتحرك فيه الإنسان وقسم يرتاح فيه الإنسان من الحركة.

ولذلك جعله اللّه سكنا والسكن لابد أن يكون عن تحرك الليل والنهار حركة، كأننا نسكن فى الليل الذى جعله اللّه سكنا ليمكننا استقبال النهار بالحركة فما لم نسكن لا نستطيع أن نتحرك، إذن فالسكون له مهمتان مهمة تريح من تعب حركة اليوم ومهمة تعين على حركة الغد، فالذى يتعب نهارا ولا يسكن ليلا لا يستطيع أن يعمل بعد ذلك عملا.

ونظرا لأن الزمن انقسم هذين القسمين واللّه سبحانه هو خالق الإنسان وخلق له الزمان والمكان:

﴿وَمِنْ رَحمتِه جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه ولَعَلَكُم تَشكُرُونَ﴾

مهمة الرجل ومهمة المرأة

إذن الليل للسكـن والنهار لـلابتغاء. ولكن هـل خرج الليـل عن كـونه ظرف زمان وهل خرج النهار عن كونه ظرف زمان؟

إذن فهنا زمان انقسـم إلى ظرفين زمانيين الليل والنهار وكـل قسم له مهمته، إن حـاولت أن تـدخل ظـرفا فى وظيفـة الظرف الآخـر تكون قـد أفسدت نظام التكوين الـزمنى. فحينما يقول الحق سبحانه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، يغشى أى يغطى الكون والنـاس تسكن فيه والنهار إذا تجلى أى اتضح ووضح، الناس على بينة بأشيائها يسيحون فى الأرض ويضربـون فيها يـأتى بعـد ذلـك بالمتحـرك ﴿وَمَا خَلَقَ الـذَّكَرَ وَالأُنثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ يعنى لكل واحد مجال فى سعيه.

«يعنى يا ذكر لك مهمة ويا أنثى لك مهمة».

«فإياك يـارجل أن تأخذ مهمـة المرأة وإياك يا امرأة أن تـاخذى مهمة الرجل».

وبينكما قـدر مشترك وهذا القـدر المشترك هـو أن كلا منكما إنسـان مفكر، وإنســان مفكر أى له عقل يقـارن فيه بين البديلات. ولكـن لك أيها الرجل عقل يخاير بين بديلات فى مجالك وللمرأة عقل يخاير بين بديلاتها فى منطقتها، فإذا حاولت المرأة أن تأخذ خيـار بديلاته أو الرجل حاول أن يـأخذ خيـار بـديلات المرأة تقـول لـه انها ستقف أمـامـه بنية الأشيـاء التكوينية ومعنى بنية الأشياء التكوينية.. الطبيعة التى خلقت عليها.

مهمة المرأة

فهل المرأة أخذت عمل الرجل والرجل أخذ عمل المرأة؟ فالمرأة لها مهمة

هى الحمل والرضاعة، فهل للرجل أن يعمل عمل المرأة؟ فالبنية تقف أمامه، فإذا تساوت المرأة بالرجل وإذا تساوى الرجل والمرأة ظلت مسائل بطبيعة تكوينها منوطة بها.. اذن أأنت صعبتها على المرأة أم خففتها عنها وأيضا فإذا ما أردنا أن نلحظ العملية التكوينية.. نجد أن الرجل يمتاز بالصرامة. ومعنى الصرامة أن طاقة العقل تتحكم فى تصرفاته، وطاقة العاطفة تكاد تكون على قدرها فيه..

والمرأة تتعرض لمسائل تتطلب العاطفة قبل العقل، والرجل يتعرض لمهمة تتطلب العقل قبل العاطفة ونلاحظها نحن فى حياتنا اليومية ونجدها.. الرجل المتعب حين يرتاح ليلة وله طفل يتألم ويبكى فماذا يكون موقف الرجل من المرأة حين يسمع طفله يبكى؟ لا يرى إلا أن طفلة يفسد عليه نومه ويعكر عليه راحته وربما أطلق ألفاظا يسب بها الابن والأم ويقول لها: أسكتى هذا الولد لأنى أريد أن ارتاح.. ذلك هو منطق العقل لأنه يريد أن يستيقظ ليذهب إلى عمله وماذا بالنسبة للمرأة؟

إن منطق العاطفة يجعل هناك افتراقا.

الرجل يريد أن تخرس الطفل والأم تذهب تهدهد عليه وترعى ألمه وتبعده عن أبيه لأنها لا تستطيع أن تقنع الولد بألا يبكى، لأنها لا تعلم ما الذى يبكيه. فالطفل يريد قسطا من العاطفة السيالة، هذه العاطفة تصطدم مع قضية العقل. وقد يأتى الولد الصغير ويجلس وبعد ذلك تقضى ظروفه أن يقضى حاجته أثناء الطعام ماذا يكون الموقف؟ أن يسب الأب ويشتم وتأخذ الأم ابنها بعيدا عن الطعام وتمسح بيدها!

إذن فطاقة العاطفة مطلوبة عند المرأة..

وطاقة العقل مطلوبة عند الرجل..

لأنه يريد أن ينتفع بهما فى ميادين الحياة.

إذن فللمرأة مهمة وللرجل مهمة ولذلك لا يصلح الرجل أن يتسلم الطفل فى ذلك الوقت، ولكن الأم هى التى تأخذه ولذلك قلنا إنه يجب أن يفهم الناس حقيقة، حديث رسول الله صلى الله وعليه وسلم فى قوله «خلقت المرأة من ضلع أعوج» لأن مهمتها حنانية فشبه بالضلع المعوج ولكن اعوجاجه صالحا لمهمته.

حديث رسول الله صلى الله وعليه وسلم فى قوله: خلقت المرأة من ضلع أعوج لا يعتبر سبا لها.. بل هو مناسب لمهمتها التى خلقت من أجلها.. وهى مهمة حنانية.

لو كان هذا الضلع معتدلا لا يصلح لمهمته لان الله جعله هكذا ليصون القفص الصدرى للقلب والرئتين. إذن فعوجه ليؤدى مهمته.

الناس تفهم أن قوله «المرأة خلقت من ضلع أعوج» يعتبر سبا لها نقول: لا..

هذا مناسب لمهمتها التى خلقت من أجلها لأن مهمتها حنانية لآنها حملت الابن فى بطنها وتحاول أن تحتاط فى كل حركة من حركتها، تحاول أن تكون بعيدة عن كل ما يؤثر فى بطنها، فى حركتها.. كل ذلك مناسب لمهمتها، فإذا ما أردنا أن نأخذ عملها فى تكوين النشء وجدتها أتعب من الرجل وأشقى من الرجل، لأنها تتعامل مع من لا يفهم، تتعامل مع من لا يستطيع أن يبين موضع الآمه وتلك مهمة صعبة وأطول مهمة فى حياة

طفولة الأشياء، أن الذى يحاول أن يجعل مهمة أخرى للمرأة يكون قاسيا عليها.

لأن مهمتها الأصلية إن أرادت أن تكون مخلصة لها وأمينة عليها تحتاج منها ضعف الوقت الذى تعيشه.

وقلنا إن الإنصاف يجب أن يظهر أن المرأة تتعامل مع الطفل.

والإنسان فى طفولته يعتبر المثل الأعلى فى طفوليات الكائن الحى، الأشياء تختلف فى طفولياتها، شىء طفولته مدة ساعة، وآخر يوم، وآخر أسبوع، وآخر عامان، ومع ذلك نجد الإنسان -لأنه السيد للكائنات- طفولته تتناسب مع سيادته.

ولذلك تحدد الطفولة فى عرف الإسلام بمرحلة البلوغ..

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالَ مِنْكُم الحُلُمَ﴾.

إذن الحد الذى يخرجنى من الطفولة هو أن أبلغ الحلم وأصير رشيدا عندى القدرة على أن أنجب مثلى..

إذن لا يخرج عن الطفولة إلا عندما تكون عنده القدرة على أن ينجب مثله..

إذن فمن ولادته إلى أن يبلغ هو طفل.

تلك الطفولة فى حاجة إلى حاضن، هذا الحاضن إذا نظرنا إليه وجدناه فى الأب والأم، حضانة الأب فى الخارج، وحضانة الأم فى الداخل.

واذا نظرنا إلى القيم التى تسيطر على الانسان عندما يكون شابا وفتيا نجد كل هذه الأشياء تكون عندما تتفتح عنده وسائل الادراك. لا تقل إنها

تتكون بعد سنة، إنها تتكون بمجرد أن يدرك، تبدأ قضية التعلم التى هى من القضايا الكونية التى يمارسها وهو طفل، إياك أن تفهم أن التعليم هذا لمجرد السن المؤخرة.. التعليم معناه أن يوجد سمع، ويوجد ادراك، بمجرد أن يوجد بصر، ويوجد ادراك، بمجرد ان تأتى خميرة من المدركات الحسية، وتتكون المكونات العقلية.

إذن فكل من يسمع فهو ناطق ومدرك، ومادام هكذا فعند وجود السمع فى الطفل فانه يتعلم ولكن لماذا طالت طفولته؟

لأن مهمته عالية تتطلب طفولة واسعة لأنه سيتعرض لقضايا كثيرة جدا تتلاءم ورسالته في الحياة لأنه هو السيد وهو المهيمن على هذه الأشياء وهو الخليفة.. خليفة الله فى الارض، اذن لابد أن يعد الاعداد المناسب.. ومن هنا فإن طول طفولته يتناسب مع مهمته «الأم هى سيدة هذا الفضل»، ومن الممكن أن تأتى له بحاضنة تصنع له أشياء..

«ولكن لا يمكن أن تضع فى قلب الحاضنة قلب الأم..»

قلب الأم له وظيفة أخرى، وأيضا فان المحاضن التى صنعوها فى الخارج وجاءوا بأطفال كثيرين وتشرف عليهم حاضنة، لم تؤد إلا إلى ما قرأناه فى كتاب «أطفال بلا أسر» لأن الطفل تأتى عليه فترة من الفترات يريد أن يكون له راع وحده، ومعتن به وحده، بدليل أننا عندما نجد طفلا وولد على رأسه طفل أخر، نجد ماذا يحدث؟ لو أن الأم نظرت إلى هذا نظرة دون الاخر يحزن! فما بالك بحاضنة عشرة أو عشرين أو الخ؟. طاقة وزعتها من العطف على أبناء.. بقلب غير قلب الأم فماذا يكون الموقف؟

فالمرأة التى إذا أردنا أن تصل بمهمتها على ما طلب منها يضيق وقتها به ومن الممكن أن تكون المرأة هى كل شىء فى الوجود اذا أرادت أن تخلص لمهمتها..

المرأة حين تأخذ جهد الرجل وتحاول أن تديره ادارة يتسع إلى مطلوبات الحياة، وتستطيع أن تنميه وتستطيع أن تتعلم صنعة تكسب منها ويصرف كسبها على أشياء فى غير طائلها..

كان المغزل هو شغل المرأة واذا نظرت إلى المغزل وجدته يقوم مقام آلة النسيج ومقام آلة الخياطة حتى أنها كانت تقوم بعمل نسيج لزوجها.. فاذا كانت المرأة راغبة فى زيادة العمل وزيادة الجهد تستطيع أن تصنع.. أو أن تكون وزيرة صحة أو وزيرة مالية، تستطيع أن تكون قاضية تقضى بين الأولاد فى بيتها. والإسلام حين طلب من المرأة أن تتفرغ لهذه المهمة أعطاها الطاقة الحنانية التى ترتفع لهذه المهمة..

ويجب ألا نعزل قضايا الإسلام بعضها عن بعض..

يقولون لك: إن حاجة المرأة فى الوقت الحاضر تتطلب الخروج إلى العمل..

نقول له: قل حاجة الإسلام، لأنك غيبت قضية من قضايا الإسلام..

تقضى بأن المرأة مطلوب رعايتها من ابيها ان كان موجودا.. مطلوب رعايتها من اخوتها، مطلوبة من عصبها.. مطلوبة من أعمامها.. مطلوبة من زوجها..

إذن فحين تأخذ قضية الاسلام فلا تعزل قضية المرأة عن قضايا

الإسلام فـاذا لم تجد المرأة واحدا مـن هؤلاء أو هـم موجـودون ولكنهم عجـزة.. الإسـلام لم يمنع المرأة أن تضرب فى الأرض الضرب المنـاسـب لمهمتها وتحتفظ أيضا بكونها امرأة.

ولهن فى بنات شعيب.. أسوة حسنة

وإن قصة بنـات شعيب فى القرآن هـى القضيـة التى إذا قرأتها بتـدبر وجـدتها لم تترك عنصرا من عنـاصر حيـاة المرأة إن احتـاجت للعمـل إلا وجاءت بها، ممـا يدل على أن القرآن لا يعـرض القصص لقتل الـوقت أو الزمن أو الترفيـه إنما يعرض القصص لالتقاط العبرة منه فيـأتى القرآن ليحـدد... الضرورة.. ويأتـى بقضايـا الإسـلام مع بعضهـا.. وقضايـا الإسلام أن الـرجل مسئول عـن بناته والإخـوة مسئولون عـن أخواتهم والرجل مسئول عن امرأته وأمه..

إذن فالاسلام إذا أخذناه جملة واحدة لا نجد فجوة يخرج منها واحد.. فإذا احتاجت المرأة وكان المجتمع الإسلامى خاليا من المروءة؟ ضرب الله مثلا فى قصة موسى:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾..

معنى تذودان تمنعان عن الذهاب إلى عين الماء، إذ كانتا تمنعان الماشية أن تذهب إلى عين الماء لترد..

ما الذى جعلهما يذهبان للعين؟ شـىء ملفـت للنظر.. اذن فقول موسـى عليه السلام للفتاتين: ما خطبكما؟ كلام طبيعـى لأنه رأى فتاتين تذهبان إلى مكان العين، ومع ذلك يمنعان الماشية من أن ترد العين!!

﴿قَالتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصدرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيخٌ كَبِيرٌ﴾.

قالتا لا نسقى إذا كان هناك جمع، وحكى عنه قول يصير القول الواحد يأتى من الجمع، كيف؟ اذن من الذى قال.. الاثنتان.. ان كانتا قد اتفقنا فى هذا المنطق وقالت الاثنتان فى نفس واحد ذلك على أنها قضية مدروسة وليست، قضية ارتجالية (قالتا).. الاثنتان وكأنه عندما قال ما خطبكما، جاء الجواب منهما معا فان كان الجواب قد جاء منهما معا دليل على أنه جواب مدروس..

إذن هى قضية لم تفاجأ بها.. أو أن واحدة قالت والثانية سكتت.. وإن سكتت الثانية. فمعنى ذلك أن رأيها هو رأى الأولى ﴿لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ كان فيه رجالا كانوا يسقون أيضا.

وأبونا شيخ كبير أى أن الأب المسئول عن الرعاية عاجز عن الحركة والكسب وتلك هى الضرورة.

فلو أن الضرورة كانت تبيح للمرأة أن تخرج مختلطة بالرجل لكان مبررا أن تختلط به عند الماء.. لا. المرأة أخذت الضرورة خرجتا لأن أباهما شيخ كبير..

القضية بحيثيتها ﴿لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ معناها أنهما أخذتا الضرورة بقدرها بدون تزويد..

صحيح أننا خرجنا لأن أبانا شيخ كبير، ولكن ليس معنى ذلك أن نحتك مع الرعاة، بل سنترك أمر الرعاة حتى ينتهوا وبعد ذلك نخرج فى فراغ.

إذن فهما خرجتا فى اطار الحجاب أيضا.

اذن فان أبانا شيخ كبير «حيثيــة الضرورة، الضرورة بقدرها لم تزد.. ماذا يكون مهمة المجمتع الإيماني؟ ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ لتكون مهمة المجتمع هنا عندما يرى أمرأة أخــرجتها الضرورة لمجال، عليه أن يؤدى لها العمل لتعود إلى مكانها الطبيعى.. تلك المهمة هى المهمة الايمانية.

إذن الإســلام يعــرض القضيــة لنستنبــط منهــا الضرورة ومجالات الضرورة، حتى لا نــأخذ الضرورة بتــزايداتها ونضيــف عليها اضــافات ليست من مجال الضرورة.

كون القرآن يعطينا القصة مــن موسى فى قوله ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ يعنى مــوســى لأن الحق بعلمه الــواســع علــم أن أتبــاع مــوسى هــم الــذيــن سيصنعون للمرأة حــدود الانطلاق عندهم ليكــن أسوة لحدود الانطلاق عند غيرهن، فجاءت من موسى وكأننــا نرى أن ما يفد الينا من صناعات اليهود فيما فعلنه من تأليب المرأة على منهج الإسلام نقول لهم: نبيكم هو الذى (سَقَى لَهُمَا) ومعنى سقى لهما أن السقى لم يكن مهمتهما..

وبعد ذلك نجد أن المرأة من كرامتهــا أن تنهى هذه المهمة، لم يجعل الله فى القرآن نهاية القصة على يد رجل ولا على يــد موسى ولا على يد شعيب (والد المراتين) وإنما جاء بها عن طريــق المرأتين، فكأن المرأة الكريمة على نفسها، الحريصــة على وضعها العرضى والأدبــى فى أى مجتمع تحاول جاهدة أن تخرج من الضرورة عندما تجد بصيصامن الأمل يخرجها عن الضرورة، نجدها فى لقطة من الآية عندما يقول الحق ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لــو أن المرأة حلالها أن تخرج مــن مكانها الطبيعــى إلى الخروج لما نبهت أباها إلى أن يستأجر الرجل ليسقى لهما.. أى يمنعها من

الضرورة التى أخرجتهما.

إذن المرأة الواعية هى التى تعشق مهمة التستر.. تعشق مهمة الاحتجاب، لأن الحجاب فيه كرامة المرأة.

ولذلك نلاحظ شوقى رحمه الله عندما جاءت قضية السفور.. وجاء قاسم أمين وحمل لواءها وأراد أن يخرج المرأة إلى الشارع.. شوقى قال قصيدته المشهورة.. الجهلاء الذين سمعوها ظنوها تأييدا لخروج المرأة وكانوا يستشهدون ببعض أبياتها «صداك يا ملك الكمال ويا أمير البلبل» فمن أراد أن يراجع فليرجع ليجد أن كثيرا من الذين يشتهرون عند الناس بأنهم أدباء يستشهدون بأبيات منها ليؤيدوا قضية السفور، فنقول لهم: لم تفهموا عن الرجل شيئا.. لأن الرجل تكلم فى القصيدة كلاما رمزيا وجعل المسألة كأنه يخاطب عصفورا فى قفص.

القفص الذى كان يعنيه قفص الحجاب للمرأة والعصفور هو المرأة.. ماذا قال شوقى؟ إنه يتكلم مع العصفور المحتبس فى القفص يقول له..

ياليت شعرى يا أسير ∴ شجٍ فؤادك أم خلى

والمعنى: ياأسير القفص شجى الفؤاد

ثم اسمعوا معى حين يقول:

حرصى عليك هوى ∴ ومن يحرز ثمينا يبخل

والمعنى: أن الذى يحرز شيئا ثمينا يحاول أن يرعاه (هوى) حبا.

وماذا يقول هنا؟ الذين لم يفطنوا له

يقول شوقى:

يــا طير لولا أن يقــولو جــن قلت تعقــل
اسمع فرب مفصل لك لم يفدك كمجمل
صبرا لما تشقى بــه أو ما بدالك فــافعل
أنــت ابن رأى للطبيعــة فيك لم يتحــول

والمعنى: صبرا لما تشقى به، أنا أنصحك بإجمال، وقد ينصحك بإجمال مالا يستطيع مفصل أن ينصحك به، لأنــه يغشك (اسمع فرب مفصل لك لم يفدك بمجمل)

ابــدا مـــروع بــالإثــار مــهـــدد بــالمــقتل
ان طرت عن كنفى وقعت على النسور الجهل

فكأنه فى القصيــدة يحبذ سفورا أم يحبذ حجابا؟ يقــول ياطير لولا أن يقول جن قلت تعقل.. وقال فى الاول حرصى عليك هوى ومن يحرز ثمينا يبخـل ثم يقــول فى الاخر.. ان طــرت وقعت على النســور الجهل. فكــأن شوقى كان يعلم مدى ما يمكن ان يصاب به المجتمع الإسلامى من قضية قاسم أمين التى رجع عنها هو نفسه.. قال: لو أننى علمت ان هذه القضية ستصل إلى ما أرى الان كنت عدلت عنها ولكن الناس لا يأخذون تجارب الغير ويريدون أن يبدأوا هم تجارب يصدقون بعدها..

إذن فالمرأة الكــريمة على نفسها تمثلت فى فتــاة بنت شعيب بمجــرد ما وجدت ساقيا قالت ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ ولا تقول هذا القول إلا لأن ذلك يخرجها عن الضرورة التى تجد نفسها مضطرة إليها..

وانظروا إلى لباقة الرجل «شعيب» كيف يستاجره، وهو رجل ويدخل على البيت وفيه بنتان؟ ولماذا لا يحل المسألة حلا إيمانيا؟ قال.. ﴿إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَى هَاتَيْنِ﴾.. إلى اخره.. اذن القصة لم يطلقها الله تعالى للتسلى، وإنما أطلقها على لسان موسى وفى بنات شعيب لان الله يعلم اولا ان البلاء سيأتى لنا من اتباع موسى لأنهم هم الذين يزينون لنا، وللمرأة أن تخرج هذا الخروج لنفهم أن اللائى خرجن على شريعتنا خرجن من قبل على شريعة نبيهم الذى يؤمنون به وبذلك تنتهى مشكلة الضرورة فى المرأة..

الإسلام كرم المرأة حين قال لها :
احتجبى فى بيتك.. لا تعرضى مفاتنك

وايضا عابوا علينا كما قرأت فى كتبهم أنهم أرادوا أن يحفزوا المرأة ضد الاسلام. ويريدون أن يبينوا أن الإسلام يريد أن يمنع المرأة حقها فى التعليم ويريد أن يمنعها حقها فى التحرر وأن تخرج وأن تختار من تشاء إلى آخر ما قالوا..

فنقول لهم إن المسألة ليست كما تظنون، ولكن المسألة أنهم رأوا فى الإسلام خميرة المناعة الإيمانية التى جعلت الفعل النزوعى يسبقه الوجدان ويسبقه الإدراك. فلم يقتصر فى التشريع على الفعل النزوعى بل سبقت إلى الفعل الادراكى.. ودون أن يهدموا هذه القضية عندنا لأننا قلنا سابقا إن التشريع انما يتدخل عند العقل النزوعى. ومعنى ان التشريع يتدخل عند العقل النزوعى ان الوجدان ليس له تشريع وأن الإدراك ليس له تشريع فمثلا واحد يحب إنسانا.. نقول: أحببه كما شئت ولكن لا تظلم

الناس له، وفلان يبغض إنسانا.. ابغضه ما شئت. ولكن لا تظلمه للناس.. إذن فالمسائل الوجداينة لا يتدخل فيهـا الاسلام لأنه لا يوجد تشريع حب فلان وكره فـلان. الحب الحقيقي هذا شيء آخر. ولكـن الحب العاطفي لا آحد يجبر عليه ولذلك يقول الله تعالى ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىَ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ معناه لايمنعكم بغـض قوم على ألا تعدلوا بل اعدلـوا هو أقرب للتقوى.

إذن هو لم يمنــع الشنآن.. وإنما منع أن يجرنـا الشنآن إلى الظلـم فاذا وجد الشنآن ولم يوجـد الظلم فهذا لا يمنع قلبك حب ما تريـد ولذلك قلنا إن سيدنا عمـر قال لقاتل زيد بـن الخطاب.. انا لا أحبك فقـال له: أو عدم حبك لى يمنعنى حقا من حقوقـى؟ قال عمر: لا.. قال: انما يبكى على الحب النساء.. بمعنى ان حبك لى او عدم حبك لى لا يمنعنى من حقى..

ما هو الفرق بين الحب العقلى والحب العاطفى؟!

الحب العـاطفى حـب بلا سبـب. تحب بعاطفتـك. وتحب ابن عـدوك بعقلك.. المريض يحب الدواء المر.. أيحبه بعاطفته؟! لا. يحبه بعقله لأن هذا الدواء المر سيعطيه العافية.. ويسر ممن يأتى إليه بالدواء المر.. لأنه يحبه بعقله.. كذلك حبنا لرسول اللـه صلى الله عليه وسلم يجب أن يبدأ إيمانيا بالحب العقلى.

أقول: لـولا رسول اللـه ماذا يكـون موقفنـا؟.. فهو الـذى أنقذنـا من الضلال والعذاب وأعطانا الخير كله.

إلى أن يتسامى هذا الحب فيكون عاطفيا..

ـ المرأة التى قتل أبوها وأخوها وزوجهـا فى المعركة وبعد ذلك يقولون لها قتل أبوك وأخوك وزوجك.. فتقول: وما حال رسول الله؟!

إذن يرتقى الحب حتى يغلب كل الأشياء.

إذن فالحب الشرعى المطلوب هو الحب العقلى..

فالمواجيد التى يجدها الإنسان فى نفسه لا يجد فيها الإنسان ما يترتب على ثواب أو عقاب، ما دامت لا تؤدى إلى عمل نزوعى. وما دامت لا تؤدى إلى عمل نزوعى فإن منطقة التشريـع فى العمل النزوعى. إلا فى شىء واحد تعدى فيـه التشريع مرتبـة النزوع وأداهـا الى المرتبة الأولى وهى مـرتبة الإدراك وتخطى مرتبة الوجدان. يعنى قال لك لا تدرك حتى لا تجد حتى لا تنزع. نحن ضربنا مثلا من قبل وقلنا إن الإنسان حين يمر أمام بستان يجد وردة جميلة.. إدراكه للوردة.

(هذا إدراك).. إعجابـه لها وحبه لها (هذا وجدان) ثم مـد يده ليقطفها هذا نزوع. التشريـع يتدخل أين؟ أيتـدخل عندما نظـرت إليها فى الإدراك ويقول لك لا تنظر اليها؟!

أيتـدخل عنـدمـا نظرت لها وأحببتهـا؟ لا.. إنما حين أمـد يدى اليهـا يتدخل.. ويقول إنها ليسـت ملكا لك.. إن كنت تريدهـا فازرع لك شجرة ورد أو استأذن صاحبها.. لا يوجد عندك أرض تزرع فيها هات أصيصا وضع فيه شجرة.

إذن فالتشريع لم يمنع أن تدرك.. والتشريـع لم يمنع أن تجد اعجابا فى نفسك ولكـن التشريع وقف عند العمليـة النزوعية. إلا فى مسـألة المرأة.. لماذا؟!.. لأنك لا تستطيع أن تفصل الإدراك عـن الوجدان ولا تستطيع أن

تفصل الوجدان عن النزوع.. لماذا؟!

لأن العملية سيترتب عليها شيء مادى فى تكوينك. هذا الشيء المادى فى التكوين إما أن تكبته وإما أن تنطلق بـه. فإذا انطلقت به ولغت فى أعراض الناس. وإن لم تنطلق به أتعبت نفسك، وحملت لنفسك ما لا تطيق. فكأن الله رحمة بك قـال أنا سأتعدى فى عمليـة التشريع مرتبة النـزوع وأحرم الإدراك حتى لا يـوجد وجـدان وحتى لا يوجـد نزوع وبـذلك أكـون قد رحمتك.

إذن فـالتشريـع الاسـلامى حين قـال للمـرأة: احتجبـى فى بيتـك.. لا تعرضى مفاتنك.. هو تكريم للمرأة ومنع للعملية النزوعية التى تنشأ عن الوجـدان الذى ينشأ عـن الإدراك ولكن إذا أدركت وجـدت. وإذا وجدت حاولت أن أنزع..

إذن التشريع جـاء فى هذه الحالـة وحدهـا وقال لـلإنسان: سـأمنعك وأرحمك وأطلب منـك أن تغض بصرك، وأطلب من المرأة ألا تبـدى زينتها إلا لمحارمها. فـإذا ما حدث ذلك فإن المجتمع يمتنـع عن الإدراك، فيمتنع نتيجة لذلك عن الوجدان، فيمتنع نتيجـة لذلك عن النزوع، وفى ذلك أيضا تكريم للمـرأة وتأمين.. كلمة التأمين التى نسمعهـا.. وهى فى عرف البشر الآن.. التأمين هو أخذ من القادر يرد إليه يوم أن يكون عاجزا.. نقول له:

كـذلك الحجـاب..

وغـض البـصـر..

هذا تأمين للمرأة وتأمين للرجل..

لماذا؟ لأن عمر المرأة فى الجمال محدود والمرأة دائما لكثرة مهماتها تكبر قبل الرجل غالبا. الرجل يتزوج من واحدة وعاش معها فترة من الزمن الى

أن ذبـل جمالها وانتهـت نضـارتها. وبعـد ذلـك أدخلهـا نظـام الحمـل والإرضـاع إلى أن أصبحت غير مغرية أو جـذابة. لو أن زوجها لا يرى إلا هى، كـانت تظـل فى نظره لا تتغير يـوما عـن يوم لأن التغير يختلـس من الرجـل، ومعنى يختلـس من الرجـل. يعنى التغير لا يأتـى فجأة، يـأتى اختلاسا. لأنك إذا نظرت الى ابنك ساعـة أن يولد ثم نظرت إليه دائما بعد ذلك لا يكبر فى نظرك أبدا. لماذا؟ لأن الكبر ليس معناه جزءا من القدر يأتى فى قدر من الـزمن فى نهايته. لا. إن كان يكبر كل يـوم مليمترا ليس معنى ذلك أنـه فى آخر كل نهار يـزيد المليمتر.. لا. المليمتر شـائع فى ثنايا الـزمن ينمو نموا غير منضبط لأنه ليس لـه أجهزة تضبطه. لكن إذا وصل عمره شهريـن مثلا تجمع النمـو المستتر فى كل الـزمن فى لحظة مـن اللحظات. أعرف أنـه كبر لكن أنظـر إليه دائما لا أستطيـع.اذا زرعت زرعـا وظللت ناظرا إليه يخيل إليك أنها لا تكبر.. لأن النمـو سيسبح فى جزيئات الزمن، ولا توجـد المعايير التى تضبـط بها. كذلك الرجـل الذى دخل على امـرأته وهى فى لبـاس عرسها وجميلة ونظـر اليها صباحـا لا يتغير جمالها عن المساء.

واليوم لا يتغير جمالها عن الغد. لأن التغيير يأتى اختلاسا. فاذا لم ير غير امرأته ظن أن الدنيا كلها هكـذا. لكن إذا خرج إلى الشارع فوجد امرأة سافرة فى شبابها ومتهتكـة ماذا يكون موقف الرجـل؟ إنه سيبدأ فى دور المقارنـة، وجد فتاة فى مقتبـل عمرها وواحـدة فى أدبار عمرهـا لاشك أن المقاييس ستختل.

« إن فساد البيوت كلها من هذه المسألة».

ويخلع على الأسباب أسبابا أخرى فيقول عن زوجته ليست مدبرة هى تعمل كذا وكذا (وهى غير ذلك) لأنه نظر إلى من هى عارية فى الخارج ورجع ليجد واحدة تعبت وأرضعت أولادها فى البيت. كذلك أبناؤها الذين لم يستوفوا حياة الاستقرار وتقلقهم المراهقة. وهنا يأتى الفساد من ناحية الأب ومن ناحية الأبناء. ويكون في ذلك نكبة على صاحبة البيت، وبعد ذلك لا يدرك الناس لذلك أسبابا.

والسبب هو سفور النساء. وإطلاق الأنظار إليهن مما يؤدى إلى عدم الرضى بالزوجات.

إذن التشريع عندما تدخل لمنع هذه العملية ومنع المرأة من السفور وعن التهتك فى أيام شبابه، يريد أن يحميها عندما يزول هذا الجمال حتى لا يكون لزوجك أى امرأة إلا لك أنت. فإن رأى سواك ممن هن أجمل منك تتعكر حياتك. وكل فساد الدنيا من هذه المسألة.

وبعد ذلك نقول لهم: عندما جاء التشريع وطلب من المرأة ألا تخرج من بيتها، وإن خرجت لا تخرج متهتكة ولا متبرجة لا يخرجها عن الحضارة.

فما العلاقة بين التعليم والصدر الواسع المكشوف؟

وبين التعليم والمفاتن تظهر؟

و«الفساتين الملونة الملصقة لتظهر محاسن المرأة»؟

المسألة أنكم أخذتم ضرورة وأدخلتم فيها غير ضرورات. وبذلك حققتم لمريدى الفتنة بالأسرة المسلمة ما يريدونه.

الدخول على العقائد الاسلامية بالفتى والفتاة

وبعد ذلك ننتقل إلى ما أعده المبشرون بالمسيحية. والمنصرون للمسلمين في منهجهم الجديد. وقد انتقلت المسألة عندهم من مرحلة التبشير إلى مرحلة التوطيد لإدخال المسلمين في المسيحية يعني تنصيرهم، وأهم سلاح هو السلاح الذى يستخدم الإنسان عنصرا فعالا في الدخول على المسلمين في عقائدهم، دخلوا على العقائد الإسلامية بواسطة الفتى والفتاة، فكانوا يستخدمونهما في الهجوم الجديد ضد المبادىء الإسلامية فقالوا للفتى غير المسلم: عليك أن تغرى فتاة مسلمة، وقالوا للفتاة غير المسلمة: عليك أن تغرى فتى مسلما. وبذلك استخدموا الفتى والفتاة في حوادث باكستان وأندونسيا..

إن من الهجوم على الإسلام الاقتناع ببعض المبادىء حتى داخلوا هؤلاء فى مجتمعاتهم التوجيهية ليعرفوا مدى ما يعد من كيد.

فقالوا للفتاة المسلمة: إن الإسلام أراد أن يمتع الفتى المسلم بالفتاة المسيحية، فقد أباح الإسلام الزواج بالمسيحية وبخل عليك أن تستمتعى بالفتى المسيحى، لأنه يجوز للمسلم أن يتزوج بالمسيحية، ولا يجوز للمسلمة أن تتزوج مسيحيا، وفى ذلك ما يؤكد أن الإسلام جاء ضد المرأة. وهذه مغالطة. ومما يؤكد ذلك أيضا أنه فى تبشيرات الله للمؤمنين الورعين المتقين فى الجنة، أنه أعد للرجال الحور العين، وترك النساء بلا رجال، وهذا يدل على أن المخططين ضد الإسلام رجال لهم خبرة بكل قضايا الإسلام، فهم يتعمقون فى دراستها لا لينشروا هداية، ولكن ليأخذوا من سطحيات القضايا الإسلامية قراراً ضد الإسلام.. ولذلك

أهاب بى كثير من الذين كتبوا إلى أن نحاول جاهدين أن نرد على مثل هذه الأقضية كلها.

فنقول للفتاة المسلمة: إن القرآن قد حذر من زواج المسلمة بالمشرك، فقال عز من قائل ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِك وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ فكلمة ﴿ولو أعجبكم﴾ تدل على أنه قد يستغل الإعجاب الذى قد يوجد فى مقومات البنية التكوينية للرجل ليغرى المرأة، وأيضا جاء القرآن للجنس المقابل فقال ﴿وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَة وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ فإن العجب المادى بالقالب مجردا عن القيم يعطى متعة وقتية، ولكنه ينتقص من القيمة والمقومات الأصلية للتكوين الإنسانى..

وأيضا دخلوا على الإسلام من جهة أنه جاء ضد المرأة، لأنهم قالوا وأشاعوا عند المرأة المسلمة أن الإسلام وقف ضدها فى الحقوق الإرثية التى تكون لها ممن ترثه، فهى دائماً على النصف من الرجل فى كل شىء.

الميراث

وهؤلاء الذين كتبوا فى هذه المسألة، أذكر قصة حدثت بسبب هذه الشائعة التى أشاعها الكارهون للإسلام، فهناك أسرة حصل بينها شقاق لدرجة أن امرأة طعنت أخاها بسكين أودت بحياته!

ويلزمنا أن نضع المناعة أيضاً فى تلك القضية، وان كنا تكلمنا عنها كثيرا، لأن بعض الكتب التى وصلتنى من نيجيريا بالذات تقول لى إنا نستحلفك بالله ألا تترك الإجابة عن شىء من هذا المذكور فى ذلك الكتاب اتكالا على أنك تناولته فى كثير من أحاديثك، فنحن نريد أن تكتب فى كل

قضية طلبنا منك أن تكتب فيها.

وبذلك وجب علينا أن نقول لهؤلاء: يجب أن تعلموا أن الإسلام لم يكن فى هذه المسألة ضد المرأة، ولكنه كان محابيا للمرأة لأن قضايا الإسلام لاتؤخذ قضية منها فى غياب قضية أخرى، ولكن يجب أن تؤخذ القضية فى حضور أخواتها من القضايا الأخرى ليكون الحكم على القضايا مجتمعة لا على القضية منفردة.

وللرد على هؤلاء نقول: إن الإسلام لم يقل نعطى للمرأة نصف الرجل بل قال أعطوا الرجل ضعف المرأة، فجعل المرأة هى المقياس الذى يئول إليه الأمر، أو المكيال الذى يكال به الأمر.

جعل المرأة هى المكيال يدل على أن الاسلام نظر اقتصاديا إلى المسألة فى أضعف قواعدها وهى المرأة، ثم جعل الضعيف هو القاعدة، وبعد ذلك جاء للأقوى فحمل قضية الأقوى على قضية الأضعف، فقال ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ فكأن حظ الأنثى هو المعتبر فى المقياس، وهو المعتبر فى المكيال، فالنظرة الاقتصادية إنما جاءت من هذه الناحية.

وكيف يكون ذلك؟

لأن النظرة الاقتصادية يجب أن تنظر إلى أنه.. ليس فى كل أحوال الميراث، تأخذ المرأة نصف الرجل، بل فى كثير من مسائل الميراث، تأخذ مثله كالابنة تأخذ مثل الأب، والأخوات من الأم يأخذ الذكر مثل الأنثى تماما مستويا. ولكن المسألة فى الأخ والأخت فقط.

لأن الإسلام لاحظ المقياس الاقتصادى، فقد أعطى دخلا من ميت ليزيد فى دخل حى.

والدخل.. المفروض فيه أن يقوم بـوجهات نظر الحياة، ووجهات نظر الحياة تختلف بين الرجل والمرأة.

لأن المرأة إن أحضرنا كل القضايا التى تتعلـق بها فى الإسلام وجدناها غير مسئولة عن نفقة نفسها. فإن كانت بنتا تكون مسئولة من أبيها، وإن كانت أما فهى مسئولة من زوجها، ومن أبنائها، وان كانت بنتا فهى أيضا مسئولـة من أبيهـا، وإن كانت متـزوجة فهى مسئـولة مـن زوجها، ولا يلزمها الاسلام أن تنفـق من مالها ولو كانت غنيـة وزوجها فقير. بل على الرغم من فقـر المتزوج من غنية.. عليه أن يقترض من سـواها لكى ينفق عليها!

إذن فالمرأة لا التزام عليها فى الإسلام، لأنها محمية إما من زوج، أو من الأبناء، أو مـن الأعمام، أو من الإخوة، فكل أمـورها ليست هى مسئـولة عنها أبدا.

فاذا ما أعطاها الشرع نصف أخيها فلأن النصف سيكفيها إن هى ظلت دون أن تتزوج وإن تزوجت فإن هذا النصف وُفرٌ لها، لأنها ستلحق بمن ينفق عليها، ولا يطالبهـا الشرع بأن تقرضه من مالها حتـى ينفق عليها، ولكن الأخ الذى أخذ ضعفها مطلوب منه أن يبنـى حياته بزوجة يأتى بها لينفق عليها، فمادام هو سيأتى بزوجـة ينفق عليها، وهى ستذهب لزوج ينفق عليها فكان يجب أن يكون الكلام: لماذا حابى الإسلام المرأة؟ هذا هو الكلام المنطقـى، كلام الواقـع، نعم نقول له هـو حاباهـا، يجب أن تكون القضية أن الاسلام لم يظلم المرأة ولكنه حاباها. لماذا؟ لأن الإسلام راعى أن المرأة قد يكون من سلاحها فى الحيـاة أنوثتها فهو أراد أن يستعصمها

من أن تستعمل سـلاح الأنوثة فى حياتها فـأعطاها هذا النصـف، فإذا ما ظلت بلا عائل يمكن أن يكفيها وإن جاء لها عـائل فهذا الدخل يكون وفرا لها.

أما الرجل فعلى العكس من ذلك، سلاحه رجولته وكفاحه فى الحياة.

إذن يجب أن يفهـم المسلمـون فى كل بقـاع الأرض- إن وفـدت إليهـم شائعة من هذه الشائعات- أنه يجب أن تكون عندهم المناعة الكافية فى أن يعطوا كل قضية ردها الإسلامى الذى تُـدحض أمامه كل الحجج الباطلة التى يأتى بها الخصوم للاسلام.

الطـلاق.. بكلمـة

ثـم قـالوا أيضـا للمـرأة ليمـردوهـا على الإسلام إن الإسـلام جعـل انفصالها عن زوجها بكلمة عابرة تقال.

وللرد عليهم نقول: كيف دخلتم على كلمة الفراق ونسيتم كلمة التلاق؟ إن التلاقى بين الرجل والمرأة أيضا بكلمة.

فـإذا كـان التـلاقـى قـد حـدث بكلمـة (زوجنـى وزوجتـك) فلماذا تستبعدون أن يكون الطـلاق أيضا بكلمة (طلقتك)!! الـذى دخل إلى الحل بكلمة يـدخل أيضـا إلى الحرمة بكلمة، وإن إقـامة المرأة التـى تعرف أنها ستكون مع زوجها رغم كلمة تقال منـه لينهى هذه العلاقة تحتاط حيطة شديـدة فى أن تكون الكلمة فى يـد أمينة عليها، ولا يمكـن أن يكون الأمين عليها إلا رجلا يخاف ربـه، ويرعى منهجه فيها كما قـال الحسن بن على رضى الله عنهما لمن استشـاره فى زوج ابنته فقال له: زوجهـا رجلا تقيا

فإن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها.

فلو أن المرأة علمت أن فراقها للرجل وهدم بيت الزوجية كله مربوط بكلمة تقال من الرجل لاحتاطت المرأة فى ألا تجعل هذه الكلمة إلا فى يد أمينة عليها لا يأتى بها إلا بحقها، وحين يقولها بحقها تكون هى الأمر الفصل فى قضايا النزاع التى تؤرق الحياة كلها.

وإذا ما نظرنا إلى الإسلام وجدناه يضع المقياس بالنسبة للرجل هو بعينه المقياس بالنسبة للمرأة. فيقول فى المقياس الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه) ويقول أيضاً فى المقياس الآخر (فاظفر بذات الدين تربت يداك).

فلو أن المرأة فى اختيار زوجها أخذت منطق الدين وقانونه، والرجل كذلك، إذا التقيا أمسك بالمعروف وإن سرح سرح بالمعروف. إذن لما كانت هناك مشكلة ولسعد المجتمع وسعدت الأسرة.

الطلاق

إن الطلاق حينما يجعل من حق الرجل على المرأة، يجب أن تلحظ المرأة حين التقائها بالرجل أن تضع هذه الأمانة فى يد من يؤتمن عليها، ولا يؤتمن عليها إلا إنسان له دين إن أحب أكرم، وإن كره لم يظلم.

ويجب أن نعلم أن الطلاق قد امتاز عن الزواج بأن الزواج يتم بكلمة (زوجنى- زوجتك) ولكن الطلاق لا يأتى بكلمةواحدة وهى (طلقتك)لأنه يعطى فرصة وبعد ذلك إذا عز اللقاء فى العشرة كان الطلاق امرا لابد منه..

فإن يلدغ الرجـل مرة وتلدغ المرأة مرة. لدغ الرجـل فى أنه إن أحب أن يعود إلي المرأة بعد ثلاث تطليقات- لأنه اشتهـاها، وأحب أن يراجعها- لا ترجـع إليه إلا بعد أن تنكـح زوجا غيره، وذلك تـأنيب لرجـولته وايجاد للغيرة، حتـى لا يقـف هـذا الموقف إلا إذا كـانـت الحيـاة لا تستقـر بين الزوجين.

- إذن فـالطلاق ليـس بكلمـة كما يقـولون، ولكنـه بكلمات. وكلمات متفرقات بمدة ولا تقول بكلمة مرة وبكلمة مرة..

فلم يقـل القرآن (الطلاق كلمتـان) وإنما قال (الطلاق مـرتان) والمرة حدث فى زمن ثم يـأتى بعدها حدث فى زمن آخر، وبعد ذلـك يأتى إمساك بمعروف، أو تسريح بـإحسان، فهو إن كان الـزواج بكلمة إلا أن الطلاق بكلمات متميزات بينهن فترة. فـإن أحب أن يرجع، راجـع مرة. وإن أحب يراجع، راجع مرة ثانية. لماذا؟

لأن الزواج دخل عليه بدون تبعات تسبقه...

ولكن الطلاق قد يأتى بعده تبعات تسبقه، وهو وجود علائق ليس من السهل على الفرد أن يتخطاها، وأن يتعداها كـوجود علاقة المودة وعلاقة الرحم..

وفوق ذلك علاقـة الأبناء التى تربط حياة الـزوجين، وقد يربطان على مركز من أسباب الحياة الذاتية لاستبقاء أمر البنوه.

لا ملجأ إلا الإسـلام

- إذن فالإسلام كان حكيما حين شرع كل شىء فى موضعه، ولا تقول

إن الإسلام إنما جاء لينقض قضية اللقاء. ولكن ليصفى قضية اللقاء فليس من العدل أن يحمى الإسلام حياة كلها نكد، ليعيش فى ظل قانون جامد لا يتيح له أن يطلق، وإذا كان قول الذين أعانهم الإسلام على هذا الموقف قد ألجأتهم ظروف الحياة وأحداثها أن يعودوا إلى قضية الإسلام فى الطلاق عودة، لا لأنهم آمنوا بقضايا الإسلام، ولكن لأن أحداث الحياة عضتهم، وحين تعضهم أحداث الحياة لا يجدون ملجأ إلا الذهاب إلى الإسلام لأنه يحل لهم الوضع الذى يضيقون منه ويشتكون، قضية الآف الرجال الذين أعرضوا عن المرأة، وذلك لغو من الإنسان خارج عن نطاق الطبع.

وإذا قالوا إن محاكم المسلمين مملوءة بقضايا الطلاق، فنقول لهم: ليس ذلك حجة ضد قضية الطلاق فى الإسلام، ولكن قد تكون حجة ضد تطبيق الإسلام فى مسألة اللقاء بين الزوج وزوجته..

فالذين دخلوا على الزواج بغير معايير الإسلام وقوانين القرآن فمن الضرورى أن يحدث بينهم هذا الشقاق..

فإذا دخل رجل على الزواج بقانون القرآن، فإنه لن يأتى شىء يعكر صفو الحياة..

فإذا مادخل بغير مقياس القرآن، كأن ينكح الرجل المرأة رغبة فى جمالها ثم زوى هذا الجمال أو تزوجها رغبة فى حسبها وعزها وأسرتها ثم تكون هذه العزة، وهذه الأسرة سوطا عاليا على ظهره..

إذن فكل شىء يعكر الصفو بين الزوج وزوجته أتى بسبب المخالفة لمنهج القرآن. ولو أنه لا مخالفة فى الحقوق لما جاء أمر الخروج للناس على

بعض، لأن الذى يـدخل بمنهج الله كسبا يمكنـه- إن أحب أن يمتثل- أن يخرج بمنهج قصدا.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾

ولكن النـاس تفهم فى قضيـة الحكم فهما خاصـا بأنفسهـم، تفهم فى قضية الحكم أنـه دخل مصلحا لا أنه دخل حـاكما، بمعنى أن يبرم الحكم من جهـة المرأة والحكم مـن جهة الرجـل فى أن يبرما أمـرا يكون لـه قوة الحكم لا قـوة المشورة، حين يكـون الأمر كـذلك تنتهـى مسائل النـزاع وتسوى أسباب النزاع سترا للأعراض فى بعض الأحايين، وسترا لشراسة الأخلاق أيضا فى بعـض الأحايين الأخرى، وفى الستر ما يغنـى الناس عن وجود الأسباب لأن الله مالك الأمـر فى الصلات أو قطعها مخافة أن يقول له أعرض أسبـاب خلافك. وقد تكون أسباب الخلاف حـائلا أو مانعا أن تجد المرأة زوجا أخـر أو أن يجد الرجل زوجة أخـرى، فحين جعلها سرا ستر وراءها كثيرا من الأشياء التـى تحمى أعراض البشر، وهكذا يجب أن تكون الخميرة الإيمانية فى الرد على كثير من الأحـداث، ثم يقولون للمرأة كما حدث أيضا فى بعـض الكتب: إن الإسلام لا يجعل للمـرأة حقا للزواج بأكثـر من رجل ، بينما يجعل الـرجل منفردا بالمرأة أو المرأتين أو الثلاث أو الأربع.

تعدد الزوجات

ونقـول لهم فى ذلك: إن هـذه القضية عـولجت اجتماعيـا واقتصاديـا وصحيا، فلم يجدوا حـلا لها سوى ما قال بـه الإسلام، الحل المنطقى أن

نقـول للمـرأة، المرأة التى تعتمـد على هـذا الحكـم أهى متـزوجـة أم غير متزوجة؟!

٩٥٪ من المانعـات متزوجـات فنقول لها: لا رأى لـك؟ لأنكِ متهمـة فى إبداء هذا الرأى لأنك لا تحبين الشركة لك..

ولكن لنأخذ رأى من لم تتـزوج، وتكون على الحياد، ألا تكونين زوجة ثـانية بـدل ألا تكـونى زوجـة؟ فسيكون الجواب: أكـون زوجـة ثانيـة، وسيكون الرأى هكذا بـالنسبة لبقية الزوجات، فلو أننـا استفتينا النساء اللاتى لم يتزوجن، لما وجدنا واحدة منهن تكون على غير رأى الإسلام..

فالـرجل ليـس ضد المرأة، والـدين ليـس ضد المرأة، وإنما المرأة ضـد المرأة..

وأيضا فكرة التعدد.. منطقيا وواقعيـا فى أي شىء، لا يمكن أن يتعدد شىء على شىء إلا إذا كـان المتعدد فائضا فـإذا كان المتعدد فائضـا فمن الطبيعى أن يتعدد، وفائض يعنى زائدا على الأصل.

وقد ضربت مثالا قلت فيه: دخـل جماعة هم عشرة فى حجرة يوجد بها عشرة كـراسى، كـل واحـد أخذ كـرسيـا ولا خلاف، وإذا دخـل العشرة ووجدوا اثنى عشر كرسيا أخذ واحد كرسيـا فجلس عليه. ثم أخذ كرسيا آخر واتكأ عليه، لا يمكن أن يعدد لنفسه كرسيين واحدا للجلوس، وواحدا للاتكاء إلا إذا كان هناك فائض...

إذن فالتعدد لا يـأتى إلا عن فائض، هذه القضية خـدمتها الإحصاءات الحديثة..

فحين جاءت الإحصاءات الحديثة بالبيانات، ولو استطاع واحد منا أن يعمل إحصاء فى قطاعه السكنى، أو قريته وجدنا الإحصاء منطقيا لأننا لو نظرنا إلى عالم التكاثر.. نعرفه فى الكون الإنسانى، ونعرفه فى الحيوان وفى النبات لوجدنا أن هذا التكاثر ينشأ مـن لقاءين: لقاء الموجب بالسالب، أو لقاء الذكـر بالأنثى، فإذا نظرنـا بالاستقراء إلى مفردات الـذكر ومفردات الإناث، وجدنـا دائما أن الإناث هن الكثيرات ويمكننا أن ننظـر إلى مزرعة النخل، لو أحصينا عدد نخلات الأنثى، وعدد نخلات الذكر، نجد أن النخل الذكر فى المائة مرة يكون واحدا ومـرة يكون اثنين، ولم يصل إلى ثلاثة أو إلى عشرة فى المائة والباقى إناث. لماذا؟!

لأن الذكر يخصب أكثر من الأنثى، والأنثى لا تخصب ذكرين، وكذلك إذا ما جئنا بمائة بيضـة وفرخناها ثم أحصينـا ما فيها من الـديوك، وما فيها من الـدجاجات. وجدنـا عدد الدجاجـات أكثر من عدد الـديوك. أمر طبيعى فى عالم التكاثر.

كذلك فى الإنسان، فالإناث عددهن أكثر من عدد الرجال.

هذا إذا تركنا النظر لما يطرأ على جنس الـذكور وإن كانوا متساوين مع الإناث، من التعويض من الأحداث، والصدمات والقتال.

إذن فعنصر الإناث أكثر دائما من عدد الرجال فى كل عنصر من عناصر التكاثر.

فإذا كان الأمر كذلك ولا يحدث إلا عن فائض فسنقول قول من يقول: أعط كل ذكر أنثى ثم نجد الفائض فى الأنثيات.. هذه الأنثيات ما منطقها فى المجتمع؟!

إما أن تعف فتكبت، فمعنى تكبت: أن تكتم السبب الأصلى ليحصل تنفيس فى أسباب فرعية أخرى، والسبب الأصلى لا يجد هذا التنفيس، وسيؤدى إلى إثارة الفتن فى بيئاتها، وخاصة البيئات القريبة. فاذا كانت فتاة ولها أخ متزوج وهى لم تتزوج فإنه يحدث كثير من المآسى، وتأخذ فى جانبها آلاما تعكر صفو الحياة كلها، لا سبب لذلك، إلا أنها لم تتزوج وهذا السبب موجود ولكن الحياء يمنعها، ولكنه يأخذ أسبابا شتى نواجهها بالحلول ومع ذلك لا تشفى لأننا نعالج فى غير دقة.

إذن الإسلام جاء ليمنع هذه الكارثة، مادام لا فائدة إلا بتعدد فلابد أن توضع قضية الفائض فى محل النظر، والإسلام شرع أن يتزوج الرجل باثنتين، أو بثلاث، أو بأربع، فإذا ما جئت لامرأة عفيفة فإنها ستكبت. ويكون من الكبت آلام تعكر صفو الحياة، فإذا كانت لا تعف سيكون تنفيسها مع متزوج، أو مع فتى لم يبلغ بعد حتى مرحلة احتمال تبعات الحياة، وبذلك يفسد المجتمع كله.

لذلك لجأ كثير من الدول حين وجدوا نقصا كبيرا فى عدد الرجال بسبب الحروب وغيرها إلى أن يتزوج الرجل عددا كثيرا من النساء، وهذا يدل على أن التعدد يحل مشكلة لو لم تحل لكان لها خطرها العظيم.

والسبب فى الحملة على التعدد ليس فى التشريع ولكن فى الآثار التى ترتبت على التعدد فى الأسر. فقد أخذوا من واقع الآثار ما ينفر من التعدد.

وتبعات ذلك تعود إلى المسلمين، لأن المسلم الذى تزوج بأكثر من واحدة. نقول له: إنك عددت بحكم الله، ولأن الله أباح لك التعدد، فهل التزمت بحكم الله فى كل أمر؟

صحيح أنك أخذت التعدد بحكم الله، فلماذا لم تأخذ العدالة بين الزوجات بحكم الله أيضا؟

لماذا أخذت ما يمتعك ويريحك بحكم الله، وأخذت شرع الله فى التعدد ولم تأخذ شرع الله فى العدل بين الزوجات؟

ولكنك لو أخذت الحكمين معا واحترمت أمر الله فى العدل، كما احتجت إليه فى التعدد لم نجد النساء اللاتى يثرن على التعدد.

لأن المرأة ستجد حظها ولم يؤثر فيه حظ الأخرى، وعيشها لم يؤثر على عيش الأخرى.. وحفاوتك بها لم تؤثر فيها حفاوتك بالأخرى. وأيضا تبعات الزواج من الأولى وهم الأولاد لم يتأثروا أيضا.. فلم يفضل أولاد الثانية على الأولى، بل يعدل بين الجميع، ويسوى بين كل ذريته، ولكن حين نأخذ حكم الله فى التعدد، ولا نأخذه فى العدل، تنشأ الآثار المنفرة البغيضة التى يستغلها خصوم الإسلام. ولو أن خصوم الإسلام لم يجدوا هذه الآثار المنفرة، لما أخذوا التعدد حجة ليدخلوا منها ضد الإسلام، فانظر أيها المسلم، كيف أعنت خصوم الإسلام على الإسلام؟

أعنت خصوم الإسلام على أن يدخلوا على قضايا الإسلام لتشوه.. لا بالأمر المتعلق بالمنطق.. ولكن نص القانون المطبق.

والعدالة تقتضى ألا تنظر إلى القانون من زوايا المطبقين، لأن المطبقين قد يكونون طائعين وقد يكونون عاصين، وإذا كانوا عاصين فلا تأخذ من عصيانهم حجة تبرر السخط على ما شرع الله.

وعلى المسلم أن يعتبر نفسه فى كل قضية من قضايا دينه داعية لدين

الله أو هادفـا لدين الله: فإن هو طبـق ما أخذه عن الله مـن منهجه بحق، كان أسوة للغير.. فلا يجرؤ واحد أن يدخل على الدين من ناحية المتمردين ولا على الإسلام من ناحية المسلمين.

وأيضا فإن الذى يخير بين أمرين لابد أن تكون عنده الحجة فى ترجيح أحد الأمرين على الآخر.

فالمرأة التـى لم تتزوج ثـم يأتـى لها رجل متـزوج ليخطبها، لـو أنها وجدت أن تكون زوجة واحدة، ووجـدت فى ذلك مجالا لما سمحت للرجل المتزوج أن يأتى ويخطبها، فهى قارنت بين أن تكون زوجة ثانية، وبين أن تكون بلا زوج، فهى تختار أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة.

إذن الذى جعلها ترجح سبب عندها، وليس عند من يلتقى بها.

فلا تنتقد أنت لمختار أمرا هو خير الأمور له.

لو لم يكن ذلك هو خير الأمور لها لما قبلت أن تكون زوجة ثانية.

فهى قارنت بين مساوىء التعدد، وبين أن تكون بلا زواج، فوجدت أن تكون زوجة ثانية، أو ثالثة، أو رابعة أفضل من أن تكون بلا زوج، فالمرأة اختارت الأفضل لنفسها، فليس للمجتمع حق أن يتدخل.

الذى يتدخـل ليمنع، تقول له الثانيـة: أحضر لى زوجا لأكون الأولى فى حياته.

وتقول الثالثة: أحضر لى زوجا لأكون الأولى فى حياته.

وتقول الرابعة: أحضر لى زوجا لأكون الأولى فى حياته.

إنما يأخـذ بالحجـة التى تخصه فـلا يتدخل فى أمـر لا يعنيه، ثـم هل

التعدد أمر افتراضى فرضه الله أم أمر مباح؟

الذى لايعجبه أن يعدد، لايعدد

فإذا استطعت أن أحمى أعراض الناس وأعف نفسى لا أتزوج.

إذن التعدد ليس فرضا، ليس إلزاما، ليس من يعدد آثما.

فمن رآه قبيحا فلا يفعله ﴿وَإِنْ خِفْتُم أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَة﴾.

التشريع واضح جدا.

إذن لم يبح الله للإنسان أن يعدد إلا إذا استطاع أن يعدل فإذا خاف ألا يعدل، فلا يتزوج الثانية.

إذن يجب أن يؤخذ الحكم بكل ضروبه.

هذا من ناحية المرأة، ومن ناحية الرجل؟

الرجل حين يعدد معناه أن امرأته الأولى فى حياته، لم تكف طموحاته، العقلية أو الجنسية أو الاجتماعية وأهمها الجنسية.

لأننا لم نر أحدا يتزوج امرأة ثانية من أجل أنها مثقفة عن الأولى.

إذن أغلبها طموحات جنسية، رجل رأى فى المرأة التى عنده والتى تزوجها تحت ظروف خاصة لم تعد تكفيه، ومادامت لم تعد تكفيه فقد تكون له شراسة جنسية فمن تكفيه؟ هذه الشراسة لا توجد إلا فى عرض الغير.

فهل نسمح له أن يريح نفسه فى أعراض الغير؟ ولا نسمح له أن يأتى بزوجة ثانية على مشهد ومسمع من الجميع؟! امرأة محسوبة عليه،

وذريتها محسوبة عليه. وهى منه كالأولى تماما، وكل إنسان محسوب عليه شىء، مسئول أمام المجتمع عن تبعات ذلك الشىء.

أما إن أبحنا له فى طموحاته الجنسية ألا يتزوج حليلة فقد يبيح له أن يتخذ خليلة.

إذن فالحلائل خير أم الخلائل؟

هذا هو ما يشغل بال الغربيين الآن! لأنهم لا يحصرون الخلائل والنساء يعرفن ذلك جميعا.

ولذلك قالت المرأة الألمانية: لأن أكون شريكة لرجل مع عشر نساء، خير من أكون خليلة، والخلائل فوق المائة.. لماذا؟

لأن ذلك قطاع محسوب عليك. إذن التعدد زواياه من كل ناحية: من ناحية الرجل، ومن ناحية المتعددة ومن ناحية المتعدد عليها. فهل يطلقك حتى لا تعودى.. أم تظلين معه؟

كل امرأة عاقلة تقول: أظل معه وأكون شريكة لغيرى.

إذن فانظرى للتشريع من أى زاوية فى المتعددة، فى المعدد عليها تجديه تشريعاحكيما فى كل زواياه.

لكن يجب أن نأخذ الحكمة من كل زاوية،، فلا نأخذ شيئا من الله ونرد منه أشياء، فردنا لشىء واحد مما شرع الله بجوار أخذنا شيئا واحدا مما شرع الله، الثانية تساوى الأولى وتكون حجة علينا عند خصوم الإسلام.

لماذا عدد الإسلام للرجل ولم يعدد للمرأة؟

حين تكلمنا فى هذه المسألة اتسعنا فيها، ولكن توسعنا فيها توسعا

صحيا. هذا التوسع الصحى جاء من ناحية أن سائلا سأل فقال: لماذا يجامل الإسلام الرجل فيعدد له المرأة ولا يساوى المرأة بأن يعدد لها الرجل؟

فكان الجواب ما يلى:

هل فى بلادكم توجد أماكن ليريح الشباب فيها نفسه جنسيا؟

الجواب.. نعم.

فماذا أعددتم لصحة الناس من المترددين على الجنس؟

قالوا: إننا نكشف صحيا على هؤلاء الفتيات فى كل أسبوع مرتين، وهناك مفاجآت لا نظام لها حتى نتأكد من الأمن الصحى من المترددين.

فقلت لهم: هل فعلتم ذلك فى المتزوجات؟

فقوبل سؤالى بدهشة وكنا فى بلجيكا. وكيف نصنع ذلك فى المتزوجات؟ قالوا: لم يحدث صحيا مثل هذا فى المتزوجات، والأمراض الخبيثة لا توجد إلا فى هذه البيئات.

فقلت: هل بحثتم عن حكمة ذلك؟

فكان الجواب الذى نقله لى مترجم: لا.

قلت: لاشك أنكم لم تبحثوا لأنكم لم تجدوا تبعات تضطركم إلى البحث.

ولو وجدتم تبعات فى مسألة الزواج. لكان هناك اضطرار للحماية الصحية فى الزوجات كما اضطررتم إلى إباحة المسألة الصحية فى النساء

اللاتــى يتردد عليهن الرجال مــن انتشار الأمراض الخبيثة، لكــان لازما عليكم أن تكشفوا على كل متزوجة.. أتعرفون السبب؟

قالوا : .. لا..

فقلت لهم: أقول لكم: السبب فى أن المرض الخبيث لا ينشأ إلا من تعدد ماء الرجال فى المحــل الواحد أما أن يوجد محل واحــد لماء واحد فلا خطر منه لمرض خبيث.

فأخــذتهم الدهشـــة وأخذهــم العجب إلى أن الإســلام وصل إلى هــذه المسألة.

فقلت لهم : نحــن لم نصل إليها تحليــلا. ولم نصل إليهــا تحت ضغط الأمراض والأحداث التــى تفاجئنا، ولكننا انتهينا إليها، لأن الــذى آمنا به جاء التشريع به ولم يتركنا إلى أن نوجد العلاج بعد أن نشقى بالداء وهذه هى آفتكم أنتم، إنكــم لا تذهبون إلى الدواء إلا بعد الشقاء مــن الداء، ولكن القرآن عصمنا من أن نشقى بالــداء لأنه شرع لنا ذلك الدواء، وربما كنا لا نعرف العلــة وأخذنــاها حكما مسلما مــن الحكيم، ولكننــا بعد أن بحثنــا الأشياء بحثا دقيقا، انتهينا إلى الحكمة فيهــا، وهكذا دائما كل قضية حكم فيها الاسلام حكما قد يرقى كل عقل فى حكمتها وفى أسبابها سينير اللّه له الطريق بأنــه يعرف حكمة كثيرة مما غابت عنــه حكمته ليزداد ايمانا بما ظلت حكمته غائبة عنه. تلك قضية انتهينا منها.

◉ ◉ ◉

الإسلام بين الديكتاتورية والديمقراطية

الفصل الخامس

ثالثة الأثافى

ثم انتقلنا إلى قضية أساسية وهى معينة فى الكتاب الذى وصل بثالثة الأثافى، ثالثة الأثافى، هى أن الأثفية الأولى إنما جاءت فى منطق الإلحاد بالله والتطبيق لسنة الرسول، والأثفية الثانية جاءت للمرأة على العموم وقضاياها المتعددة، الأثافى تعنى القاصمة الداهية الدهياء. وكلمة ثالثة الأثافى شاعت على كثير من ألسنة الناس فى كثير من التعبيرات يعبرون بها عن الشىء الفظيع فكأن ما قبله قد يحتمل وما بعده لا يحتمل والأثافى جمع أثفية وأثفية هى الحجر الذى يوضع تحت القدر ليسنده. القدر حين يوضع يحتاج إلى ثلاثة أحجار: حجر على اليمين وحجر على الشمال وحجر خلف القدر، عادة لا نضع شيئا فى الامام لأننا نريد أن نضع الوقود. يكون هناك ثلاثة أحجار. فكان الناس قديما حين يضعون القدور يكتفون باثنتين فقط، أثفية على اليمين وأثفية على اليسار ثم يكتفى عن الأثفية الثالثة بالجبل.. يأتى بواحدة يمينا وواحدة شمالا ويسندها إلى الجبل. فالجبل يكون ثالثة الأثافى، انظر إلى الجبل بالنسبة إلى الحجر

الموضوع يمينا والحجر الموضوع يسـارا هذا كاف لها، لأن الجبل ضخم قوى. ثالثة الأثاف يعنى الداهية العظيمة.

ظاهرة تعدد الفرق الإسلامية

وثالثـة الأثاف لأنهم قالـوا: يجب أن تستغلوا ظـاهرة إسلاميـة، هذه الظاهرة الإسلاميـة تنقض قضية فيها من أساسهـا لأن الإسلام لم يعد يجمع بل آل أن يكون مفرقا فاستغلـوا هذه الظاهرة فى الإسلام، الإسلام فى الأول جاء ليجمـع. الإسلام الآن فى بـلاد المسلمين وجد ليفـرق. وآثار ذلك ظـاهرة فى كل بلاد الاسـلام. فالمذاهب والطوائف الحمقـى والفئات التى اتخذت من دين الله ألوانا. كل طـائفة أخذت لونا تعصبت له ولم تر الإسلام إلا فيـه، بل ربما تنزل بها الأمـر أن تكفر المذاهب الأخـرى. تلك قضية جعلت الإسلام الان وسيلة تفريـق لا وسيلة تجميع. انظروا كيف أنهم أعدوا لـذلك الأمر بـالأساطين من أسـاتذة التبشير وفطاحـل رجال الكهنوت والمتمرسين بـأمر الدعوة والتبشير وعلماء الجامعـات فى علوم الاجتماع والسـلالات والأنســاب البشريـة والمهتمين بشئــون العـالم والدارسين لـه والواقفين على حقيقة تكـوينه، لاشك أنهم رأوا لـلإسلام مذاهب وطرقا وطوائف، وكل مذهـب يرى أن مذهبه هو الأحق أن ينسب إليه الاسـلام أو ينسب إلى الاسلام ويكفـر الطوائف الأخـرى، وعلى هذا يصبح الاسلام لا مبدأ تجميع للناس ولكنـه يصبح مبدأ تفريق. استغلوا هذه المسـألة وقالـوا لهم: أى إسلام هـؤلاء صحيح؟ فإن كـان الإسلام صحيحا فى مذهب فـالمذاهب الأخرى باطلة، وإن كان صحيحـا فى طائفة فالطوائف الأخرى باطلة، إذن فيجب أن تـدخلوا من باب تمزيق الإسلام

بالمذهبية والطائفية، إلى أن الاسلام ليس هو الاسلام وأنه إن وافقه واحد فقد خالفه كثير من هؤلاء.

انظروا كيف درسوا قضية الإسلام، وانظروا كيف مهد المسلمون بجعل دينهم فرقا وقدموه إلى أعدائه ليدخلوا من هذا الباب..

وصدق الله إذ يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُم فِى شَىْءٍ ﴾

هذه الظاهرة إنما نشأت لأى شيء؟ لخطأ المسلمين فى فهم كثير من قضايا الدين الأساسية.. التى جاءت من عند الله.. والله حق.. والله حكيم.. لا يمكن أن يأتى شيء إلا وفيه مصلحة للخلق.. ولا يمكن أن يجعل لمبدأ يفرق الخلق.. أن يتسلل إلى منهجه، لأنه حق ولأنه حكيم، وكثير من المبادىء الوضعية لها ظاهرة تذوق ودافع يجذب.

فمثلا الشيوعية لها لون يجذب وبالتطبيق يظهر اللون الذى لا يجذب، الرأسمالية لها لون يجذب وبالتطبيق يظهر اللون المنفر.

إذن كل ناحية من نواحى التفكير البشرى لا يمكن أن تدخل على العالم لتغزوه بقبح إجماعى، بل لابد أن تدخل عليه بلون جمالى مزخرف وإن سترت فى طيها أشياء، إذن فكل أمر يهتدى إليه الفكر لابد أن يكون له ناحية جمال تغرى ويستطيع الإنسان أن يقدمها بين يدى المخلوق، مثلا فى النظام السياسى يوجد شيء اسمه ديكتاتورية ويوجد مقابل لها على النقيض «ديمقراطية».

اعذرونى فى استعمال هاتين اللفظتين الوافدتين على اللغة والوافدتين

على بيئة الإسلام لأننا أخذنا كل حضارتنا مستوردة من الخارج، النظام الديكتاتورى حيث يجىء لابد أن تكون فيه فكرة تريح الناس، لكى يتغلغل. وبعد ذلك يجىء فى طى الأشياء أنه ديكتاتورى ، الديكتاتورى يقول لو أن كل أمر أردنا أن نصلح به، وأردنا أن نأخذ رأى الناس لما التقينا على شىء ولذلك جاءت المقولة: لا ينفع الشرق إلا مستبد عادل، ماذا يعنى بمستبد عادل؟ مستبد: لا أحد يستطيع أن يقول له لماذا فعلت هذه؟ ويكون عادلا لكى لا يترك أى شىء له حق.... لماذا؟ حتى يخرج من غوغائية النقاش وجماهيرية الاستفتاء. إذن الديكتاتورية لها لون قد يصيب فى أن الأمور يبت فيها بسرعة وبحزم. ولا تدخل فيها الغوغائية ولكن من يضمن لنا أن الذى يفعل ذلك ينفذ كل الأمور على وجهها الصحيح، ولا يأتى إلا بقضايا عدل وقضايا حق؟ إذن ذروة الشر تأتى من الناحية الأخرى يكون هناك ملامح خير وملامح شر.

والديمقراطية.. الناس تفطن لما تفعله وأمرها يطول، هذا يأخذ وذاك يجىء وتكون عملية كبيرة حتى نعمل قرارا فنؤجل كثيرا من أعمال الإصلاح. ولكنها فيها ملمح جمالى وملامح قيمة. إذن هذه فيها كذا وهذه فيها كذا، مثل الشيوعية فيها ناحية حسن والرأسمالية فيها ناحية حسن ولكن الرأسمالية فيها ناحية الحاكم. الاشتراكية فيها ناحية الاستقرار الاقتصادى والمادى.. إذن لا يوجد أى نظام يقتحم على الجماهير إلا إذا كانت فيه ناحية جمالية...

وكان المفروض طالما أن العصر عصر التقاء أن نلتقى فى مثل هذه المسائل لا إلى تجربة قضايا متقابلة أو متقاربة. لماذا إذن هذا يكون له

أنصار وهذا يكون له أنصار؟

لو نظرت إلى دين الله لوجدته قد أخذ جوانب الحسن فى الديكتاتورية وترك ملامح القبح فيها، وأخذ الحسن فى جوانب الديمقراطية وترك ملامح الشر فيها فأعطانا الأمرين بفائدة وبعدالة، فالأمور التى يجب أن يبت فيها بحزم ولا تترك لأهواء البشر لها مجال شرعها الله تشريعا ولا يجعل لأحد عليها استفتاء أبدا..

ومن هنا حينما نصل إلى القضية التى يريد أن يستغلها خصوم الإسلام ليدخلوا منها إلى تشكيك المسلمين فى دينهم وإيمانهم.. هذه القضية هى أنهم يقولون إن الإسلام لم يعد أداة تجميع، بل أصبح فى بلاد المسلمين وسيلة تفريق، فكل مذهب يكفر المذاهب الأخرى. وكل طائفة تكفر الطائفة الأخرى.

وهكذا أصبح الإسلام طوائف متعددة ومذاهب متباينة لاتعيش فى فلك التآلف والتناصر. ولكن تعيش فى فلك الجدل والتناحر.

وللرد على هؤلاء نقول :

إن خصوم الإسلام يريدون أن يدخلوا إلى المسلمين من هذه الزاوية فنقول إن العلماء الإسلاميين أو الجمهرة الإسلامية يجب أن تنتبه إلى أمر مقصود للمشرع الأعلى.

هذا الأمر هو أن كل أمر من أمور الحياة فيها أمور يجب البت فيها بحسم وعزم وعدم تردد. وأمور أخرى من الممكن أن تؤدى نواحى الخير على أى لون من الألوان. فالحركة الحياتية محكومة بأمرين: أمر ضرورى

أن يوجد سريعا مبتوتا بحزم.. وأمور تأتى هينة، ومن الممكن أن تأتى على الناس باختياراتهم لتخلق لهم مبدأ الذاتية فى الاختيار. ولاتكبت أدوات الاختيار فى نفوسهم.. «وهو العقل».. أداة الاختيار بين البديلات ليشعر الانسان أن له رأيا فيما يطمئن عليه.

وقلنا إننا إذا نظرنا إلى المبادىء الوضعية فى البشر وجدنا نظامين:

النظام الأول يسمونه «ديكتاتورى»،

ونظام يسمونه «ديمقراطى».

و«الديكتاتورى» ظاهرته الأساسية الاستبداد فى أخذ القرار بدون مشورة أحد.

والديمقراطى الأمر فيه يأتى من أسفل ثم يترقى إلى أن يصير مبتوتا فيه. وكل مبدأ من مبادىء البشر، ولو كان وضعيا يستغل وجوده بإبراز ناحية الجمال فيه. ثم يستر وراءه ما يريده من نواح أخرى.. «فالديكتاتورية: تستغل هذا.

إننا لو أخذنا آراء الناس فى كل قضية لتأجل كثير من القضايا ودخل الجدال ودخل التناحر كل شىء، فلابد من أشياء تظهر ناحية الجمال فيها، ولكنها تستر فى داخلها ناحية أخرى من نواحى الشر، تدس فيها نواحى أخرى من النواحى التى تكن حيثية وجود الديكتاتورية.

والديمقراطية لم تخل من ناحية الجمال فيها.

ومن العجيب كما قلنا أننا نجد المبدأين موجودين فى زمان تكاد تكون الفرصة فيه واحدة وتكاد الإمكانية فيه تكون واحدة، وتكاد الروح

السائدة أن تكون واحدة وتكاد الالتقاءات أن تكون واحدة.

نقـول إذن فى كل.. نـاحيـة من نـواحى الجمال، ولكـن هـذه الناحيـة لاتقتصر على ناحية الجمال، بـل تدس فى ثنائها كثيرا من مـلامح تناوىء الإسلام.

ولو نظـرنا إليه كـدين من الحق الحكيـم وجدناه محتمـلا للنظريتين، فالأمور التى يراد البت فيها بتا.. ويحزم الأمر فيها حزما وحسما يذهب إلى حسم الدكتاتورية.. بحيث لا رأى لأحد فيها.

ويظهر ذلك بوضـوح فى قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

حكم مبتوت فيـه.. أنه إذا قضى الله ورسوله وحكـم فى أمر.. فلا راد لحكمه ولاجدال بعد حكم الله و«لامعقب لحكمه».

وهناك أمور تركهـا الله للنفس الإنسانية التى تتميـز بالعقل، والعقل الذى مظهره الاختيار بين البديلات.. تـرك لها مجالا لتتمى فيه هذه الملكة وليكون الأمر بما ينتهى إليه هذه العقول المفكرة.

فيكون الإسلام قد جمع بين الميزتين:

ميزة الحكـم والبت فى الأمـور التى لايـريد أن يـؤرجحها أو يجعلهـا متراخية حتى تكون بينة.

وأمور تركها لأنها إن جاءت على أى وجه من الوجوه فلا يحصل منها حذر.

فى القضية الأولى يقول الله تعالى ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ

السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾

وفى القضية الثانية يقول الله تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُوْلِ وَإِلَى أُوْلِى الأَمْرِ مِنْهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم﴾ ويقول الله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُم فِى الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

ولذلك فإن المشرع «محمدا صلى الله عليه وسلم» يقول له ربه إن كان الأمر قد نزل به حكم من السماء، فلا رأى لنا نحن البشر فيه.. لأن السماء لها علم ليس لنا، وإن لم يكن نزل فيه أمر من السماء كما لمكيدة فى الحرب. «ونشير عليك بكذا وكذا». هذا يمثل الرأى الحالى وهذا يمثل الرأى المستنبط. ومن أراد دينا أو مذهبا يحقق الأمرين معا يجده فى الدين الإسلامى.

ويمتاز الإسلام بأن الديكتاتورية فيه ليست من مساو. يعنى ليس الديكتاتور من جنسك لأنى أنا وأنت نُحكم بإله آمنا جميعا به وأنه إله فوقنا قدرة وحكمة.

إذن فالإسلام يعطينى ميزة الديكتاتورية بدون جبروت الديكتاتورية واستعلائها وإذلالها.

وأيضا لم يحرمنى من ملامح الحسن فى الديمقراطية وحق الرأى والمشورة وحق الاختيار بين البديلات.

وهكذا يجب أن ينظر علماء المسلمين إلى قضايا الإسلام.. فلاتجعل الأمور التى زحزحها الله عن مجال الحكم الحازم والبت الذى لا اختيار لنا فيه، لاينقل هذا إلى المسائل التى ترك الله فيها للمسلمين المشورة

والاختيار.. وآفة وجود المذاهب أن الأمر الذى ترك الله فيه الأمر للمشورة والاختيار والاجتهاد، جعل عند كل طائفة أمراً يجب الحزم فيه والبت وأن الذى يخالف رأيهم يكون مخالفا للإسلام ويقولون له: أنت لم تفهم الإسلام.

وقضايا الإسلام يجب أن تؤخذ من زاويتين..

الزاوية الأولى: أمور محتومة محكومة مبتوت فيها.

الزاوية الثانية: أمور متروكة لنا لنستنبط ونجتهد.

وإلا لو أراد الله للدين كله أن يكون كقالب حديد لانتحرك فيه لعز ذلك علينا، ولكان فى ذلك إهدار لما خلق الله من الاختيار بين البديلات للعقل، ولم يكن ذلك إلا قهرا على كل شىء، كما تقهر الحيوانات وأصبحنا كالجمادات المسخرة، لا رأى لها، وهذا ينافى الطبيعة التى كرم الله بها الإنسان وجعل له حرية الاختيار.

إذن آفة المسلمين الذين يمثلون المذاهب، ويمثلون الطائفية أن يجعلوا الأمر الذى أباح الله فيه الرأى وأباح فيه الاجتهاد وأباح فيه الترجيح، أن يجعلوه أمرا محكوما مبتوتا فيه.. وليته كان محكوما ومبتوتا فيه من الله الذى نؤمن به جميعا، ولكنه محكوم ومبتوت فيه من جنس البشر، لو أراد الله ما استطعنا أن نختلف فيه.

إذن فتلك هى الآفة التى جرأت علينا الخصوم ليقولوا إن الإسلام لم يعد دين تجميع وإنما عاد إلى دين تفريق!

كان المسلمون فى الصدر الأول الإسلامى مجتمعين بنعمة الله،

يقول الله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِه إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾.

إذن فالمسلمون الآن هم الذين فتحوا الباب وجعلوا الملحدين يجدون منافذ يدخلون بها علينا ليهدموا لنا قضية إيماننا وإسلامنا.

كلامنا الآن ليس مع هؤلاء الذين يريدون بنا الكيد، ولكن مع القوم الذين فتحوا الأبواب والمجال لهؤلاء ليدخلوا.. نقول لهم: راجعوا فهم دينكم من جديد، واعلموا ان القضايا التى بت الله فيها وحكمها قضايا.. لو ترك الله فيها أمر الاجتهاد والاختيار لفسدت السموات والأرض.

وأمور ترك الله لنا فيها الاختيار، لأننا على أى لون لن نجتمع إلا على خير.

آية الوضوء بين الدكتاتورية والديمقراطية

وضربنا كثيرا من الأمثال لهذه المشاكل فى قضية واحدة مجتمعة. لم نأت بشىء من قضية على شىء من قضية أخرى. يعنى لم نلفق القضايا بعضها ببعض ولكن نبحث فى قضية واحدة ونتأمل فى حياة المشرع من منطقة المشرع الأعلى فى آية واحدة. وفى حياة المشرع الثانى عن الله وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم «فتلك نص وهذه تطبيق».

نقول لهم تعالوا: انظروا إلى قول الحق سبحانه وتعالى فى هذه القضية التى هى قضية واحدة.

فمثلا قضية الدخول إلى الصلاة، فإذا أردنا أن ندخل إلى الصلاة فلابد أن نتوجه للوضوء أولا، فآية الوضوء فيها المثل كله، يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيهَا الَّذيْنَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُم إِلى الصَّلاة فاغْسلُوا وُجُوهَكُم وَأَيْدِيَكُم إِلىَ المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرءُوسِكُم وَأَرْجُلَكُم إِلىَ الكَعْبَيْنِ ﴾.

فلو فطنوا إلى التعميم فى الوجوه وعدم التقييد فيها وإلى التقييد فى الأيدى فى قوله إلى المرافق إذن لأراحوا واستراحوا وعلموا منهج الله كما يريده الله. الوجوه لم يحددها الله **(فاغسلوا وجوهكم)** أطلق غسل الوجه دون تحديد أو تقييد لأن الوجوه لا اختلاف فيها عند العرب فى مفهومها فالوجه مفهوم بالإجماع.

ولكن الأيدى يقع فيها خلاف مرة تطلق ويراد بها الكف ومرة تطلق ويراد بها الأنامل إلى المرفق، وهذه إطلاقات تطلق على يد فلو أن الله سبحانه جلت قدرته ترك التقييد فى اليد إلى المرافق لكان لمجتهد أن يقول هى الكف، ولمجتهد أن يحدد حسب اجتهاده، وهذا يمكن لو أن الأمر ترك للاجتهاد ولكننا نقول: لا اجتهاد فى ذلك لأن الله يريدها على وجه محدد ومادام يريدها على وجه محدد فيكون محددا فى الآية.

الوجه غير محدد.

إذن تحديد الأيدى دليل على أن هذا القدر هو المراد للشرع، وبذلك حسم الأمر حسما لا مجال فيه للخلاف.

ثم قال بعد ذلك «**وامسحوا برءوسكم**» لم يقل امسحوا رءوسكم كما قال اغسلوا وجوهكم هذا غسل صحيح، وذلك مسح، وهذا غسل يفيض

عليه بالماء وهذا مسح لايفيض عليه بالماء».

فمن هنا، الأمران فيهما خلاف: أمر بالغسل لابد فيه من جريان الماء على العضو أما المسح فيكفى فيه وضع اليد مبتلة على الرأس.

المهم أن نعرف قدر الممسوح لو كان الله يريد أن يحدد قدر الممسوح لقال: وامسحوا بعض رءوسكم أو كل رءوسكم أو ربع رءوسكم مثلما حدد غسل اليدين إلى المرافق ولم يجعلها من باب اغسلوا وجوهكم، ولكن جاء فيها بالباء فالباء فى اللغة لها إطلاقات متعددة تحتمل وجوها كثيرة.

ومادام الله عدل عن الأسلوب الذى قاله فى قوله «**فاغسلوا وجوهكم**» ولم يقل امسحوا رءوسكم. بل قال برءوسكم والباء محتملة لمعان متعددة، لذلك قال قوم إن الباء معناها الاستعانة ولذلك قالوا بمسح الرأس كلها، وقال قوم إن الباء للتبعيض والمسح لايكون إلا باليد واليد هى الراحة الممسوح بها وهى قدر الربع.

إذن فكل مجتهد أخذ الحكم من معانى الباء كل ما يريده، الله لايريد لونا خاصا يحكم به الأمر فإذا ذهب مجتهد إلى أنها الكل ومجتهد آخر إلى أنها الربع ومجتهد ثالث إلى أنها البعض، ولو شعرة. إذن فكل هذه الاجتهادات فهم عن الله، ومادامت عن الله فيجب أن نحترم رأى كل مجتهد.

﴿ يَـأَيهُا الذيْـنَ آمَنُوا إذَا قُمْتُـم إلىَ الصّـلاة فَاغْسلُـوا وُجُوهَكُـم وَأَيْدِيَكُم إلىَ المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُم وَأَرْجُلَكُم إلىَ الكَعْبَيْنْ ﴾.

فقد قال قوم الباء معناها: الاستعانة ولذلك قالوا بمسح الرأس كلها.

وقال قوم: إن البـاء للتبعيض، والمسح لا يكون إلا براحة اليـد وهى قدر الربع، ومجتهـد ثالث: إلى أنها البعض، ولو شعرة.. وكلهـا اجتهادات عن الله، ومادامت عن الله فيجب أن نحترم رأى كل مجتهد..

نحترم رأى مـن قال البعـض ونحترم رأى من قـال الـربع، لأن البـاء احتملت رأى من قال الكل، ومن قال البعض. كل هذه الاحتمالات فى نطاق الباء شـائعة ولكـن الآفة أن مـن يقول بهذا يحاول أن يجعـل فهمه هـو الأصوب..

ياأخى لو كانت المسألة يراد منهـا أصل لامتزحزح عنه، لكان صاحب التشريع أولى بأن يعدل هذا الأصل..

ولكنه حين لم يعـدله احترم وجهة النظر، لأنها إن جـاءت على أى وجه فهى مقبولة عنده، ومادامت مقبولة عند المشرع، فليس لك أن تلزم المشرع بفهمك أنت..

بعض الناس يـرى أن اجتهاده هو الحق، وإن اجتهاد غيره هـو الباطل وأنه باجتهاده يمثل وجهة نظرالإسلام..

وهذا لايمثل وجهة نظر الإسلام ومن هنا جاء الخلط والتخبط..

رسول الله صلى اللـه عليه وسلم لم يدع المسألة فى فهـم نفهمه، ولكن جاء النص فى واقع عملى تطبيقى، ليدلنا على أن أمر المشرع إن كان محكماً فلا مجال لاجتهاد أحد.. وإن كان محتملاً فالمشرع نفسه شرع الاحتمال، ومادام شرع الاحتمال نشأت عن هذا قضية أصولية الحق واحد صادفه واحد من المجتهدين وأخطأه الثانى، الحق متعدد لكن فى الحكم واحد.

حين يترك المشرع نصا محتملاً للفهم يجب أن يحترم فيه كل فريق رأى الآخر

وفى المتشابه الذى يحتمل الحق متعدد، والحق ماوصل إليه المجتهد، ومادام الله جاء بنص غير الحكم فإنه يحتمل الاجتهاد..

الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انتصاره فى غزوة الخندق (غزوة الأحزاب) لم يكد أصحابه يستريحون من القتال حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوحى الله إليه بواسطة جبريل الأمين، إن الملائكة لم تضع أسلحتها، فلا تضعوا أسلحتكم حتى تصلوا إلى بنى قريظة لتأديبهم، وهم لم يكونوا قد استراحوا فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة».

يجب أن يفهم المجتهدون فى الإسلام والمدافعون عنه مثل هذه القضايا حتى لاتكذب طائفة بفهمها طائفة أخرى، مادام الفهمان متواليين على نص يحتمل الفهم، ومن إله قادر على أن يمنع هذا الفهم بنص محكم..

اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى الطريق، فمنهم من قال إن المغرب يوشك أن يحين، والشمس توشك أن تغيب، ولابد أن نصلى العصر قبل غروب الشمس..

وفريق آخر قال لابد أن نصلى العصر فى بنى قريظة، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم..

ففريق له فهمه، وفريق له فهمه الآخر فى نص رسول الله صلى الله عليه وسلم..

فقوم صلوا العصر قبل وصولهم إلى بنـى قريظة، وقوم صلوا العصر فى بنى قريظة، فلما سألوا المشرع وهـو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقر هذا الفريق على فهمه، وأقر هـذا الفريق على فهمه.. وإقراره هذا كان يجب أن يكـون دستـورا للفاهمين عـن اللـه، ودستـورا للفقهاء الـذيـن يستنبطون الأحكام عن الله، ولنعلم أن الله حين يترك نصا محتملا للفهم يجب أن يحترم فيه كل فريق رأى الفريق الآخر.. والاحترام كيف يكون؟

يعتبر على الأقل فهمـه مساويا لفهم الآخـر، والأدب والاحترام هو أن نقول قد أخذنا الحق من النـص الذى فيه احتمال ويكون الاجتهاد هو: أن نقول قـد أخذنا الحق مـن النص الـذى فيه احتمال وقد يكـون الاجتهاد خطـأ، ورأى خصمى خطـأ يحتمـل الصواب، فتكـون هنـاك مقاصـة.. فالـرأيان سـواء فى احتمال الخطأ والصواب.. وأكـون مع ذلـك احترمت ذاتيتى فى الاستنبـاط واحترمت المرجـع لى فى الاستنباط ومعنـى الرأيين سواء..

إن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلفوا فى فهمهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كـان منكم مصليا العصر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة)..

وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلـم من صلى قبل الوصول إلى بنى قريظة لتدارك صلاة العصر قبل الغروب..

وأقر من صلى العصر فى بنى قريظة وهذا أمـر كان من الممكن تداركه، لو أن الـرسول صلى الله عليـه وسلم يريد أن يـوجد الحكم بحـزم، لقال للذيـن صلوا انتهوا ويقر مـن لم يصلوا، إذن الأمر متدارك، ولكـن الأمر

المتدارك لم يحصـل من الرسول صلى اللـه عليه وسلم، ممـا يدل على أن الأمرين سواء..

إذن فالمشرع قال نصا يحتمل هذا ويحتمل هذا، وإذا أردنا أن نقعد هذه القاعدة وأن نوضحها توضيحا يقنـع نقول: إذا نظرنا إلى الصلاة نجدها حدثا، والحدث لابـد له من زمان ومكـان. لايوجد الزمـان والمكان إلا إذا وجد الحدث، فـالصلاة حدث يطـالبنا الإيمان بـأن نفعله له.. مكـان وله زمان..

الرسول حين قال قوله لأصحابـه حدد ماذا؟ حدد الحدث. ثم قال «إلا فى بنى قريظة»، وبذلك حدد المكان أيضـا..

إذن قد حدد الحدث وهو الصلاة. وحدد المكان فى بنى قريظة، ولكنه لم يحدد الزمن فالـذين قالوا: نصلى العصر قبل أن تغيب الشمـس قالوا إن الحدث له زمـان، فاحترموا الـزمان وقالـوا نصليه فى زمانـه فى أى مكان وجد ذلك الزمـان، لأن الحاكم فى ذلك هو أن السبب واحد. لكـن الرسول حدد المكان وقال فى بنى قريظة.

إذن الفريـق الثانـى قال: نصلى العصر فى الـزمن فى أى مكـان فاحترم الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهاد هذا الفريق الآخر. لأن كل واحد من الفريقين نظر إلى ظرف من ظروف الحدث: الزمان والمكان..

كل الأحكام الاجتهادية التى تـركها التشريع، لاجتهادات البشر معناها إذن من اللـه، وأن ماوصل إليه الاجتهـاد يقبله الله، ويعتبره حقـا فى هذه المسألة..

ولكن المجتهدين أو أتباع المجتهدين أو الذين يريدون السيطرة يجعلون فهمهم هو الأصلح، فكأنهم نقلوا الأحكام من المشرع إلى الأحكام فى الفهم نقول لهم: لا، ليس لك حق فيما تقول، لأنك لست مشرعا حتى تجعل فهمك حكما مبتوتا فيه. أنت فاهم للتشريع فحسب، وليس لك أن تحكم الحكم، وأن الله لو أراده حكما مبتوتا فيه لوضحه وحكم فيه حكما جازما لامجال للاجتهاد فيه ولا خيار فيه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾..

فالشىء الذى ينفذ منه خصوم الإسلام هو مايفعله بعض علماء المسلمين أو بعض الأتباع لعلماء الإسلام، حين يرون فى اجتهاداتهم التى أباح الله فيها أن نجتهد فى النص أنها أصوب وأن ماعدا اجتهاداتهم يجب أن تترك، وأن فهمهم هو الحق وماعداه فهو الباطل..

ومن هنا نشأت النكبة على المسلمين فى جميع بقاع الأرض، ولذلك تجد أمة مسلمة ينتقد إسلامها من أمة أخرى، إسلام فى دولة ينتقد من إسلام فى دولة أخرى، لماذا؟!

لأنهم أرادوا أن يجعلوا من فهمهم للأمور المجتَهد فيها نصا محكما.. كما أنزله الله نصا محكما، وترتب على ذلك أن المخالف هو على الباطل فى زعمهم.

ولينظروا إلى ثمار ذلك فيما يجدونه من الهجوم علينا فى أن الإسلام لم يعد دين تجميع، وإنما أصبح دين تفريق ونحن فى البلد الواحد نشاهد ذلك الآن، نجد أننا فى كل حى، وفى كل مسجد طائفة. ولو نظرت إلى إسلام هؤلاء لوجدته بعيدا عن إسلام هؤلاء. لماذا؟ لأنهم جعلوا لسلوكهم فهما،

ومن لم يوافقهم على فهمهم فهو خارج عن الإسلام لا عليهم..

ويجب أن ينظروا إلى تبعات هذه الأشياء الآن.. هذه التبعات التى سنشقى بها طويلا من خصوم الإسلام.

ولكن من أعطاهم فرصة للهجوم علينا؟

هؤلاء هم الذين فهموا الإسلام فهما أدى إلى تعدد الطوائف، وتعصبت كل طائفة لفهمها للإسلام ورمت كل طائفة الأخرى بالخروج عن الإسلام..

والله أسأل أن نهتدى بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يهدينا سواء السبيل..

قضايا إسلامية

الفصل السادس

وصلتنى ثلاث صفحات مكتوب فيها عن مصر تقول بالنص:

«نـريد أن نسـأل المسلمين فى مصر، وفيهـا الأزهر، الـذى يـدعى أنـه الحريص على الإسلام، والمحافظ عليه:

أى الإسلام خير وحـق؟ هل الإسـلام فى المساجـد التى تبنيهـا وزارة الأوقاف. أم فى المسـاجد الأهلية التى بنيـت فى سائر القطر، ويقـوم فيها أناس يهجرون الإسلام فى المساجد الأوقافية؟»

وهم معذورون فى هذا لأن مصر صحيح هى بلد تحقيق الإسلام..

ومن هنـا سيتكلمون عن تطبيـق الإسلام.. لأنهم يقولـون إن جمهرة المسلمين فى مصر تحاول أن تطبق الإسلام..

إذن فهم يحاكمـون مصر لا من أجل تطبيـق الإسلام، ولكن مـن أجل تحقيق الإسلام، يسألون أى إسلام هذه المسـاجد هو الحق عندكم، وعند الله؟

هل المساجـد التى ينادى فيها بعد الأذان بالصـلاة على رسول الله، فى

حين أن المساجد الأخرى تقول إن فى ذلك مخالفة للإسلام؟ وتحمل عليها حملة عنيفة؟

نقول لهم: هم محقون فى هذا الفهم، لأن كثيراً من المؤذنين يجهلون موقف الدين من هذه المسألة، فيعتبرون المسألة مسألة أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– والدين ليس أدبا، وإنما هو طاعة.

يجب أن نطيع رسول الله فيما شرع، ولانتحمل على رسول الله بما لم يرضه رسول الله..

الأذان أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة.

صحيح أنه قال: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل مايقول، ثم صلوا علىّ»، نردد مايقوله المؤذن حين يقول المؤذن (الله أكبر) نقول نعم (الله أكبر) وإذا قال (أشهد أن لا إله إلا الله) نقول نعم (أشهد أن لا إله إلا الله) ثم إذا انتهى المؤذن قال: ثم صلوا علىّ.

فالذين التزموا الأدب مع رسول الله جعلوا المؤذن من المصلين، وهذا أمر لا نناقش فيه، ولكن هل نصلى بلهجة الأذان جهرا أم نصلى فى السر؟

نصلى فى السر حتى لاندخل على الأذان ما ليس منه، لأن الدين كما قلنا: دين طاعة، وليس دين أدب يبعدنا عن الطاعة، وحينما نصلى على الرسول فى السر بعد الأذان، يجب أن نحمد من قال هذا الاجتهاد، لأنهم يفهموننا على شىء وجوده لم يكن ضرورة فى الدين، ولكن وجوده أدخل التشكيك فى نفوس غير المتدينين، ليهجموا منه على الدين، فقالوا أى الإسلام خير؟

هذا يكفر هذا، وهذا يقول: هذا باطل.

إذن فلا حرج أن نتجنب الأشياء التى تؤدى إلى التشكيك.

نحن نحب رسول الله، ونُجِلّ رسـول الله، ونعظم رسول الله ونزداد منزلة عند الله حين نصلى عليه.

ولكن لكل مقام مقاله التشريعى..

فمادام ذلك لم يـرد فى نص الأذان، فليصلِ السـامع والمؤذن فى سرهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وبذلـك نقطع الطريق على مـريدى الكيد لـلإسلام فيدخلون مـن هذا الاختلاف على الإسلام مما يغضب منا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. هناك أشياء كثيرة الأدب فيها شىء، والطاعة فيها شىء آخر كذلك..

وهم يقـولون أيضاً «هجومـا على الإسلام» بعض المسلمين يقـولون: اللهم صل على محمد، والبعض يقول: «اللهـم صل على سيدنا محمد» وفى الأذان منهم من يقول أشهد أن محمدا رسول الله، ومنهم من يقول أشهد أن سيدنا محمد رسول الله..

فالذين قالوا أشهد أن محمدا رسـول الله التزموا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (صلوا كما رأيتمونى أصلى).

فقد كان الرسول يصلى فى تشهـده فيقول (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله).

إن أردنا الطاعة فلنلتزم بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الناس ينفعلـون عند ذكر سيدنـا محمد ويستحيون أن يأتـى اسم

رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يقدموا لفظ سيدنا على اسم محمد صلى الله عليه وسلم..

هم مشكورون على هذا..

ولكن الأدب شيء، والطاعة كما قلنا شيء آخر، فالطاعة ـ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم – (صلوا كما رأيتمونى أصلى)..

ولكن الذين وقفوا ضد هذه المسألة ليخطئوا من يقولونها حاولوا أن يحتجوا لذلك فقالوا إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسيدونى فى الصلاة»، وماكان لهم أن يحتجوا، لأن رسول الله لم يقل أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا، لم يقل على نفسه سيدنا. ونحن نصلى كما رأيناه يصلى، وماكان أغناهم أن يلتمسوا دليلا للمنع، ويكفى دليل المنع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نطق بها هكذا. بدون كلمة سيدنا..

وهو مطلوب منه أن يصلى على النبى، لا يقول اللهم صل على سيدنا محمد ويكفيه أن يقول اللهم صل على محمد.

إذن ليس فى ذلك قطع..

أرأيت لو أنك قرأت القرآن كله فى ركوعك، ولم تقل: سبحان ربى العظيم أتكون قد أديت الصلاة كما يريدها الله؟ إنك جئت بلفظ من القرآن. ولو قرأت مكان التحيات كل القرآن لاينفع أيضا..

إذن الطاعة شيء والأدب شيء آخر، ومن يدريك أن الله يأتى لنا بأشياء، قد يتطلبها الأدب منك.. ولكن الله يريد منا أن نترك هذا الأدب.

إذن فما أغنانا أن ندخل فى مثل هذه المتاهات.. وماعلى الذين يأتون بعد

الآذان ليجهروا بالصلاة على النبى أن يصلوا فى نفوسهم سرا.

وماعلى الذين يأتون التحيات إلا أن يؤدوها كما أداها الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونقف عند قولهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (لاتسيدونى فى الصلاة)..

نقول لهم إن الرسول لم يقل «لاتسيدونى فى الصلاة» لأن ذلك يؤدى إلى خطأ لغوى.. لأنها واوية.. «ساد يسود» ولو أن الرسول قالها لقال «لا تسودونى» فلا تتقولوا على رسول الله بما لم يقله صلى الله عليه وسلم.

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش» وإن كان ابطالنا لدليلكم لا يؤدى إلى بطلان المدلول ويكفى أن الرسول قال صلوا كما رأيتمونى أصلى، وبعد ذلك هذه الأمور تورث فى كثير من البلاد العراك والشقاق.. عراك مسجل علينا ويتخذ منه خصوم الإسلام منفذا للكيد والنيل من الإسلام والمسلمين.

الصلاة فى المساجد التى بها قبور

ومما يقولون أيضا: إن كثيرا من المساجد يكثرون من يصلى بمسجد ملحق به قبر من القبور. وهذه المقولة أيضا واقع ونرى آثاره فى نفوسنا، ولذلك كان يجب أن نجلس لكى نفهم هذه المسألة. ويتخذون من قول رسول الله. «لعن الله اليهود والنصارى.. اتخذوا من قبور انبيائهم مساجد» هذا هو دليلهم.. ونقول لهم: ما هو القبر؟

القبر هو موضع لحد الميت «أى دفنه».. فهل اتخذ أحد منا القبر

مسجدا؟ لم يتخذ وإنما جعل القبر «وإن ألحق بمسجد» حوله شىء اسمه مقصورة.. وكلمة مقصورة هذه تعنى محبوسا على القبرية لا يتعاداها شىء آخر.. وزيادة فى قصرها على القبرية جعلوا لها سياجا من خشب أو حديد.

لماذا لاننسد هذه المسألة؟..

الذى يريد دينه ويريد أن يحميه، لايجعل فيه شيئا.. ونتكلم مع المانع والمعارض، نتكلم مع هذا ومع هذا.. نقول لهم إن من يصلى والقبر على يمينه أو على يساره أو خلفه فلا شىء عليه..

ونقول لهم: لنا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

لأن من يصلى فى الروضة يكون القبر على يساره.. والذى يصلى فى الصفة يكون القبر أمامه.. والذى يصلى فى منزل الوحى يكون القبر على يمينه والذى يصلى فى الحضرة الشريفة يكون القبر وراءه.. كل هذا والقبرية ليست ملحوظة فى التوجه.. ومر ذلك على علماء المسلمين من يوم أن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر أحد من علماء المسلمين مثل هذا الموقف. فإن قيل ذلك خصوصية لمسجد رسول الله نقول لهم فيه أبو بكر وفيه عمر..

المسائل الخلافية يجب أن ننهيها فيما بيننا، لأن آثارها تكون عند الخارجين، فهل تعتقدون أن مسألة حدثت لم يمض عليها شهر أو شهر ونصف فى صحف مصر وجاءت عندهم مما يدل على أن الضالعين فى هذه الحركة أناس أيضا من خصوم الإسلام الذين يكتبون الوقائع..

إنهم أثاروا المشاكل حول الاستثمار وحول بنوك الربا، وحول العلماء الذين قالوا بحلها وحول العلماء الذين قالوا بتحريمها. وقالوا أى الرأيين هو الإسلام؟ هؤلاء علماء وهؤلاء علماء..

فما كان أغنانا أن نعطى خصوم الإسلام من علماء المسلمين أسلحة يتهجمون بها على الإسلام.. وماكان أحرانا أن ندع المشتبه، فإن الحلال بيّن والحرام بيّن!!

لانقول لفريق من هؤلاء الذين قالوا إن الربا فى بعض البنوك حلال محتجين بما احتجوا به، لانريد أن نناقشهم فى هذه المسألة. بل نقول لهم: هل ذلك رأى العلماء بالإجماع؟ يقولون: لا، نقول لهم: ومارأى بقية العلماء دونكم أنتم، المعدودون على الأصابع؟ يقولون: رأيهم أنها حرام.. فنقول لهم: مادام كثير من العلماء قالوا بالحرمة وبعضكم قال بالحل يكون على الأقل لاينسخ رأيكم رأى الجمهور ورأى الجماعة. ونجعلكم تمثلون وجهة نظر، وهم يمثلون وجهة نظر. لكن هناك وجهة نظر أحسن من وجهة نظر.

يكون هذا مدخل الأمر فى المشتبه، والرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يحكم قضايا العلماء، وقضايا الخلاف دائما هى مثار الخلاف.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن حام حول الشبهات وقع فيها.. كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، هذا وإن لكل ملك حمى ألا وإن

حمى الله فى الأرض محارمه.. ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.. ألا وهى القلب».

الخلاف بين التابعين للإسلام فى المسائل الفقهية لاشك أنه يؤثر على الإسلام، فما بالك إذا كان الخلاف بين علماء المسلمين أنفسهم وهم المؤتمنون على الدين؟!

لاريب أن التأثير على الإسلام يكون أشد وأقوى، ولذلك أنصح: إنه يجب على علماء المسلمين أن ينتبهوا إلى أن خلاف التابعين للإسلام يؤثر فى الإسلام كما قلنا سابقا، فما بالك إذا كان الخلاف واقعا من علماء الإسلام الذين هم المؤتمنون على تطبيق الإسلام؟! أظن أن ذلك السلاح يكون أقوى، ليقول واحد منهم أى الرأيين هو الإسلام؟ نقول للذين أثاروا هذه المجادلات: إننا نحترم رأيكم جدلا، ونحترم اجتهادكم، إنكم تريدون -كما تقولون- أن تعيشوا العصر، وإن كنا ننقد هذه العبارة، فلا يصح لعالم مطلقا أن يقول يجب أن نعيش العصر، لأن هذا القول معناه أن يعيش العصر، فالعصر هو الشرع فإذا اضطرت ظروف العصر إلى أشياء أن نأخذها، والدين لا يمانع فيها فلا مانع، فكأننا نريد أن يهبط منهج السماء إلى الأرض نقول لهم: لا، رجل الدين يجب أن يقول: يجب أن نعيش الدين وليخضع العصر لمنطق الدين..

* فإذا ما كان بعض العلماء يخالف جمهرة العلماء فى حل بعض الصور البينة ليقول إنها ليست ربا..

فنقول لهم جدلا سنحترم رأيكم وإذا ما احترمنا رأيكم وجعلناكم طرفا مقابلا قلنا إن هؤلاء يحللون وهؤلاء يحرمون..

* سنحترم رأيكم ونقول إذن الأمر مشتبه، ولا معنى للاشتباه إلا هذا..

هل رسول الله ترك هذه القضية بدون حل أى حكم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فوضه الله فى أن يشرع، لا يمكن أن يترك مثل هذه المسألة دون أن يضع لها حدا، وكأنه علم أن الطبع البشرى سينتهى إلى شىء قد توجد فيه وجهة نظر، وقد ينتهى إلى شىء آخر، وقال اسمعوا هذه القضية لتحكموا هذه الخلافات.. الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة أو مشتبهات.

ماذا قال رسول الله فى ذلك؟

قال فمن ترك؟

أم قال فمن فعل؟

قال : «فمن ترك ما اشتبه له فقد استبرأ لدينه وعرضه». فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك مثل هذه القضية، ولكنه حكم فيها، وقال لماذا رجح جانب ترك على جانب فعل؟ لأنه يتكلم عن الاستبراء للدين والعرض، والاستبراء إن قال شيئا بالحرمة وإن قال شيئا بالحل إن أردت أن تستبرىء للدين وللعرض تترك أم تفعل، تجعله حلالا أم تجعله حراما.. اجعله حراما.

وإن لم أجعله حراما ولجأت إلى التحليل أكون خالفت رسول الله فى قوله، فمن لم يترك تكون مخالفة صريحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم..

* وهذه المخالفة تدخلك فى ماذا؟ إذا كان الذى ترك قد استبرأ لدينه ولعرضه والذى لم يترك لم يستبرىء لا لدينه ولا لعرضه، وهل الدين مخالف للعرض؟ نعم، استبرأت لدينك لأنك ستتبرأ أن يأخذ واحد حكما عنك ويكون ذنبه عليك طول العمر، ولعرضك على الناس لا تقول إن دينه رقيق جدا غير ممكن، يجب أن نلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك مثل هذه القضية، وإنما شرع لها وبذلك أخرجنا من المتشابهات.. الحلال بيّن لا يكون فيه خلاف والحرام بيّن ليس فيه خلاف بينهم.

فعلى هؤلاء العلماء أن يلتفتوا جيدا إلى النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقولوا قولة الحق، حتى أن الذين فطنوا بآرائهم وفطنوا بفتواهم يعودون ثانيا إلى الفتاوى إن لم يجدوا من العلماء من يستبرىء لدينه ولعرضه، فيجب على السامعين لهذا الرأى أن يستبرئوا لدينهم ولعرضهم لأنه سيأتى يوم يتبرأ هؤلاء من الذين اتبعوا وسيأتى يوم يتبرأ فيه المتبعون من التابعين ويجب أن يعلم هؤلاء أنهم سيرثون بهذا العقل ضلالا فى اعتقادهم وإضلالا لغيرهم، وذلك وزر وهذا وزر آخر يصدق فيهم قول الله تعالى:

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾

يجب عليهم أن يتنبهوا جيدا إلى هذه القضية..

ثم بعد ذلك يقول الرسول فى مسألة تأبير النخل «أنتم أعلم بشئون دنياكم»..

فكأن شئون الدنيا بمنطق الحديث خرجت عن منطق أمر النبى ونهيه..

والرسول حين يقول ذلك، إنما يضع قاعدة كلية عامة تسير دائما بجانب منهج الله السماوى..

* فمنهج الله السماوى لاحظ أيضا أن الله خلق الكون كله بنواميسه وعناصره، وأجناسه وقوانينه.. وهذه الأمور تخضع دائما للتجربة المعملية سواء قام بها مؤمن أم قام بها كافر.. فهى تعطى ثمرتها للمؤمن وللكافر على السواء كما أن الله سبحانه وتعالى بعطاء الربوبية جعل خير الأرض بكل أجناسها للمؤمن والكافر..

وإشرافا إلى هذه القضية فى أنه يجب أن نفرق بين أمانة المؤمنين المسلمين لله حين يحملنها وحين يؤتمّن عليها، وبين رزق أهل الأرض، فإبراهيم عليه السلام حين ابتلاه الله بالآيات المطلوبات فأتمهن..

ومعنى أتمهن أنه أداها على أكمل ما يكون الأداء، فالمولى جل شأنه يقول له ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..﴾ لأنك اؤتمنت على منهج الله وأديته على وفق المطلوب لله.. فأنت أهل لأن تؤتمن على الإمامة.

قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَمِنْ ذُرِيَتِى..﴾

قال الله تعالى له:

﴿لا يَنَالَ عَهْدِى الظَّالِمِينَ﴾..

فكأن الإمامة عهد من الله للمؤتمن عليها..

وتلك مسألة لا تخضع للجنس ولا للدم ولا للنسب فقال ﴿لا يَنَالَ

عَهْدِى الظَّالِمِينَ..﴾ وإن كانوا من أبنائك..

* قضية أخذها إبراهيم عندما ذهب إلى واد غير ذى زرع ليضع امرأته هاجر وابنه اسماعيل..

* دعا الله بموجب الحنان لابنه ورعايته لامرأته أن يرزقهم من الثمرات والرزق **﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ.. قَالَ وَمَنْ كَفَرَ..﴾** أى أرزقه أيضا لأنك خلطت بين عهد الإمامة وبين الرزق.. فحينما قال (لاينال عهدى الظالمين) سحبت أمر الآية على الرزق أيضا. إذن فمسألة الرزق بقانونه ونواميسه وبعطاء الأرض والشمس والريح والماء كل ذلك أمر من عطاء الربوبية يستوى فيه المؤمن والكافر.

ولذلك كانت كل التجارب عليه لاتخضع للإيمان ولكن تخضع لقضية الحركة فى الأرض وللتجربة المعملية.

وأقول للذين أخشى أن يغتروا بمثل هذه القضية، أقول لهم جربوها فى نفوسكم واسألوا من كان يتعامل مع هؤلاء فمن كانوا يقولون هذا حلال كيف كان حالهم وهم فى ذلك؟ وكيف كان حالهم بعد أن تركوا هذا؟ كل واحد حجة على نفسه.. أسأل الله أن يثوبوا إلى نفوسهم، وأسأل الله للذين يريدون أن ينتفعوا بهذه الفتوى أن يفهموا جيدا أحوال الذين يتعاملون هذه المعاملة ويتنبهوا إلى أحوالهم قبلها وبعدها، ويجب علينا جميعا أن نفهم أن كل خلاف بين المسلمين خلاف يستغل ضد الإسلام، والذى يصنع شيئا من هذا إما مفت أو مطبق أو منفذ سيكون مثل الذين يمسكون معولا ويضربون به قضية الإسلام عند

خصوم الإسلام، وإذا ما تركنا هذا الأمر جانبا إلى العلماء والمسلمين الذين يخضعون لفتاوى العلماء أن يعلموا جيدا أن أى خلاف فى قضية الدين يستغله الذين لا يحبون قضية الحق، لأن هناك أناسا لم يقتدروا على نفوسهم ليهتدوا إلى حكم الله، فهم يريدون أن تكون قضية الدين قضية كاذبة، ومن حظهم أن يتخاصم رجال الدين ليجدوا لأنفسهم مبررا..

هؤلاء جميعا وزرهم عند العلماء المطبقين للفتاوى غير الدقيقة من الدين.. وإذا انتقلنا نقلة أخرى للشىء الذى يؤخذ على قضايا المسلمين لينفذ منه خصوم الإسلام، يقولون جادلوهم بمنطق القرآن والحديث مما يدل على أن المطبقين لهذا الأمر لم يقرأوا القرآن والحديث بفهم..

ونقول إن القرآن ليس فيه تناقض لأن القرآن من حكيم عليم..

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾..

والقرآن يلح إلى أن نتدبر، ومعنى نتدبر ألا ننظر إلى سطح الأشياء ولكن ننظر إلى خلفيات الأشياء..

* المؤمن ينظر إلى الأمام وإلى الخلف.. ينظر إلى الواجهة والخلف لكى يتدبر.

نقول للرد على قول خصوم الإسلام «إن القرآن يناقض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم» فإن القرآن قد قال:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾.

فإن من تحرك واستنبط وجدّ واجتهد يؤتى خير الأرض وإن كان كافرا..

– والرسول صلى الله عليه وسلم حينما نهى صحبه عن تأبير النخل (أى تلقيحه) أخذها من قضية أن الله سبحانه وتعالى يخلق مايشاء وأنه من الممكن أنهم لو لم يلقحوه لصلح النخل.. ولكن المسألة التجريبية خذلت هذه القضية فجاءت التجربة بأن النخل شاص.

– فماذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم؟

– إن موقفه صلى الله عليه وسلم أن يرد الأمر إلى قضية الربوبية فى إعطاء الأسباب حقها، وإعطاء التجربة، وإعطاء المادة، وتجعل التجربة على يد المشرع فيقول عليه الصلاة والسلام «أنتم أعلم بشئون دنياكم» أى التى يعطيها العمل، السماء لادخل لها فيها، لأنها أعطت كل الرزق بكل أسبابه ومقوماته وأنتم تجتهدون، فيما هدتكم تجربتكم العملية إليه.

فرسول الله هو الذى نهى عن التأبير وهو الذى قال «أنتم أعلم بشئون دنياكم» فيجب أن نأخذ «أنتم أعلم بشئون دنياكم» من القضية المنهى عنها.

وهى قضية التأبير.. قضية تجريبية معملية.

إذن فالرسول يجعلها فى نفسه وشأن المشرع العادل حين يضع القضية يجب أن يجعل تطبيقها أولا على نفسه.

ولم يمنعه أن يرى الناس فى أمره أولا رأياً، وفى عدوله عنه رأياً آخر، لم ير ذلك لتكون القضية دستورا لنا فى الحياة فى كل أمر تجريبى أو معملى.

التبنى.. قضية أبطلها الإسلام

والقضايا التى يجد الحق سبحانه وتعالى فيها غضاضة على الناس يأتى بها رأى حكم المشرع نفسه أى الرسول نفسه ولذلك قلنا فى قضية

التبنى: إن التبنى كان أمرا معروفا عند العرب يتبنى الواحد أى واحد ويجعله ابنه، ويأخذ منه كل الحقوق التى للابن.

فجاء الإسلام ليبطل هذه المسألة.. وهى ليست مسألة إعطاء حنان فقط، ولا مسألة إعطاء إرث فقط، وإنما تتعدى إلى شىء غير ذلك. وهو أنه سيكون ابنا، فاذا جعلته ابنا ولك بنت، أى أنه له الحق أن يراها وله الحق أن يخالطها فى المعيشة وأن يتحدث معها، وهذا ليس من حقه إذن المسألة تتعدى من مسألة الحنان والإرث إلى مسائل أخرى.. لا تكشف عورتها عليه إلخ.. فإن الإسلام جاء ليجدد هذه النواحى.

فعندما أراد أن يبطل قضية التبنى وهى قضية شائعة موجودة عند العرب ومتأصلة فيهم، والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان يعزف عن كثير من عادات وأحكام الجاهلية وقضاياها إلى قضايا فطرية بعيدة عنها. فكثيرا ما كان يمتنع عن فعل أشياء مما تفعله الجاهلية.

- ومع ذلك أجاز مسألة التبنى وتبنى زيد بن حارثة مكافأة له، لأنه لم يقبل الخيار فى الذهاب مع أبيه واختار البقاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذن مسألة التبنى كانت شائعة عند العرب لدرجة أن رسول الله الذى كان يرفض كثيرا من عادات وقضايا الجاهلية قبل التبنى وفعلها فى نفسه.

فإذا أراد الله أن يبطل المسألة المتأصلة جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينهى عنها يفعلها، لتكون التجربة فى رسول الله، وهو الذى

يضع هذه القضية فى ذاته هو، وهو الذى يعـدل عنها بعد ما تبنى زيد بن حارثة.

عدل محمـد صلى الله عليـه وسلم فى مسـألة التبنـى وهو أنـه جعلها مكافأة لزيد.. ولذلك لم يسمهـا الله جورا بل سماها عدلا ﴿ **ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ** ﴾..

«أقسط» يعنى عمل محمد فى التبنى مكافأة لزيد ليس جورا، وإنما هو قسط ولكـن هناك مسألـة أحسن، وهو ما يـراه الله فى حكمه.. فمسـألة القضية التى جـاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسـألة التبنى كانت التجربة فى نفسه هو، ومع أن هـذه التجربة فى نفسه قد جرّت علينا كثيرا من المتاعب بسبب أنهم قالوا إنـه تزوج امرأة زيد ومع ذلك لا يمكن تأصيل القضية إلا هكذا.

ولذلك قلنا إن العالم اليوم فيه موجتان.

الموجة الأولى: موجة نظرية، لكل نظريته التى يأتى بها حسب هواه.

الموجة الثانية: معملية أى علم مـادى تجريبى. الحضارات التى نعيش فى ظل ارتقاءاتها الآن تجارب معملية. حضـارات تـوصل إليها من سبقنا، واكتشفوا كثيرا من آيات الله فى الكون.

وقلت سابقا إن القضايا المبنية على نظريات وأهواء يحاول كل صاحب نظرية أن يهدم النظرية الآخرى ويعرقلها.

أما القضـايا المبنيـة على تجارب معملية فيحـاول كل فـريق أن يـأخذ ويستفيد مما توصل إليه الفريق الآخر.

فإذن هناك موجة تمنع من أن تذاع وتنتشر

وموجة توجد ونحاول أن نستفيد بها.

لماذا؟ لأن هذه النظرية مبنية على الهوى وإنما المسألة المعملية يستفاد بها.. إذن فالأمور المعملية لا اجتهاد فيها، وإنما تخضع للتجربة المعملية المادية فالله قد أنطق رسوله ليقول «أنتم أعلم بشئون دنياكم».

والسماء لا تتدخل. فقد ذهبت العقول لتبحث وذهبت الجوارح لتعمل. فنحن قلنا إن الأشياء التى خلقها الله لخدمة الإنسان خلقها مسخرة بمعنى أنه لا رأى لها فى أن تفعل أو لا تفعل..

ومادام قد خلقها الله مسخرة فهى مسخرة للكل، وتعطى خيرها للمؤمن والكافر.. ومادامت تعطى خيرها للكل فهى فاعلة بنفسها.

الكفار من العلماء.. لا حظ لهم فى الآخرة

أيضا وصلتنا رسالة تقول: هل الكفار من العلماء الذين أفادوا البشرية باكتشافاتهم وابتكاراتهم.. لهم نصيب من جزاء الله فى الآخرة؟

ونحن نجيب على ذلك فنقول إن قاعدة الجزاء تقضى بأن يكون «الأجر ممن عملت له» وعلى ذلك فنحن نتساءل:

هذا الكافر الذى يكفر بالله، أكان الله فى باله ساعة أن ابتكر؟

أكان الله فى باله ساعة أن اكتشف؟

أكان الله فى باله ساعة أن أتعب نفسه فى معمله؟

لم يكن الله فى باله، إنما كان فى باله جاهه وشهرته، وشغفه بالعلم، الإنسانية التى حوله تكرمه وتكافئه.

إذن ليس فى باله الله!!

* إذن الـذى عمل مـن أجله وفى بـاله أعطـاه الأجر تقـديراً وتكـريما وشهرة.

فإذا ما جاء اللـه يوم الجزاء أيعطيه الله أجرا ولم يكن اللـه فى باله ولم يعمل فى صالحه؟

– وهذا هو الفارق بين المؤمن والكافر..

– الفارق بين المؤمـن والكافـر حتى فى العمـل الذى يفيـد الإنسان بـه نفسه، الفارق بين الكـافر والمؤمن: أن الكافـر يعمل لذاته والثـانى يعمل لذاتـه ولأن الله أمره أن يتحـرك حركـة تسعه وتسع غير القـادرين على الحركة... إذن يكون اللـه فى بال المؤمن (يكون الله فى بالـه مادام يتحرك حركة فوق حاجته) لماذا يتحرك حركة فوق حاجته؟

لأنه يقضى حاجته فى النهاية، ومـابقى يكون لغير القادر من ذريته أو لمن لايقدر على الحركة..

* إذن يكون فى باله رب هؤلاء جميعاً فيعطيه الله الجزاء..

ولـذلك.. الحق سـبحانه وتعالى يصـور لنا هـذه المسألـة تصويـراً واضحا هو فى الأول يقول ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ وهذا فى شأن الكافرين.

هم عملوا وبعد ذلك جعل الله عملهم هباء ويقول فى آية أخرى ﴿**قُلْ هَلْ أُنبِّئُكُمْ بِـالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَـا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾

كان من الممكن أن تـأخذ الحسنات وتأخذ التشريف لـو أن الله كان فى بالك..

ولكن الله لم يكن فى بال الكافر حين يعمل..

* وبعد ذلك يعطينا الله مثلا واضحا لأعمال الكافرين

﴿مَثَلُ الذِّينَ كَفَرُوا بِـرَبِهِّم أعْمَالُهُمْ كَسرَات بقيعة يحْسَبُه اَلْظَمْآنُ مَاءً حَتَـى إِذَا جَادَهُ لمْ يجِدْه شَيْئاً، وُوَجَدَ اللّـهَ عِنْدَه فَوَفَاهُ حِسَـابَهُ وَاللّهُ سرِيْعُ الحِسَاب﴾.

فماذا تنتظر أن يعطى الله من لم يكن الله فى باله؟

* هذه عـدالة الله، لا يضيـع عمل عامل اجتهـد فى معمله فأعطـاه الله نصيبه وحظه من كل شىء فى الدنيا.

* ولذلـك يقول الرسـول (صلى الله عليه وسلـم) فى حديث مـامعناه: «عملت ليقال وقد قيل».

إذن إذا حدثنـا الحق بأن الـذين كفـروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعـة لانقول إن الله ليس بعادل، وهذه ليست نظرية الإسلام بل هى نظرية كل الأديان.. فإن جاءت آية **﴿إنّ اللّهَ لاَ يُضيْعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً﴾**.نقل له إن أحسن عملا أجره ماذا؟ إننا نعطيه إذا أتقن العمل يكون له (زبائن) كثيرة لإتقان صنعته ويكتسب شهرة.. الخ..

فالذى لم يكن اللـه فى باله لايكون له عند اللـه جزاء أو ثواب فى الآخرة **﴿مَنْ كَانَ يُرِيْـدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَف إلَيْهِـمْ أعْمَالَهُمْ فيْهَا وَهُمْ فيْهَا لا يُبْخَسُونَ﴾**..

لايظلمون بل نعطيهم أجرهم مجدا وشهرة..

عن الإسلام وتخلف المسلمين

ومن الأشياء التى يذيعها الملاحدة ويحاولون جاهدين أن يؤثروا بها على الشباب المسلم أنهم يقولون: (دعوهم فى إسلامهم الذى أوقفهم فى الأرض موقف التخلف وجعلهم فى الكون فى منزلة الاتباع)..

* أى أنهم يريدون أن يقولوا إن العالم الإسلامى عالم كله فقير ومتخلف، وهذه قضية لاننكرها، ولكن لكيلا نبث هذه المسألة فى نفوس أبنائنا حتى لانيئسهم وحتى لانوقفهم هذه الوقفة من الدين.. نقول لهم: أكان ذلك الأمر الذى عرض للمسلمين فى بقاع الأرض فى هذا العصر، هل كان أمرا لازما عليهم كمسلمين فى كل عصر؟ الجواب منهم هم: (لا)، لماذا؟

لأنهم كان يسمون عصورهم فى أوربا العصور المظلمة وكنا نحن فى غاية الازدهار والحضارة.

وقلنا إن الرشيد أرسل إلى شارلمان ساعة دقاقة تدور بالماء فلما ذهبت إلى بلاط فرنسا قالوا إن بها شيطانا. هم قالوا هذا!!

إذن كنا أصحاب علم وأصحاب حضارة..

وإذا ما أردنا أن نثبت ذلك فإننا ننسب كل علم موجود الآن إلى أصله الأول. إذا نسبنا أى علم موجود الآن وجدنا أن بذرته ونواته للرواد الأوائل من العلماء المسلمين. وأنهم كانوا القنطرة التى عبرها الغرب إلى حضارتهم وهذا بإقرارهم أنفسهم.

ولذلك قلنا: اذهبوا إلى مكتبة الكونجرس بأمريكا تجدوا أن الرسمة المعملية للعملية الكيماوية حتى الآن صورة عربى أمام الانبيق وهو يقطّر ويجرب. وهذا يدل على أن نواة كل حضارة وبذرة كل علم تقدمى هى من عندنا.

* إذن لايقال إننا أمم متخلفة، هل هذا التخلف طبيعة لازمة للإسلام؟ أم هو أمر طارىء طرأ على الإسلام؟ على تحضر أو على تخلف؟ هم أنفسهم بإقرارهم يشهدون أننا كنا متحضرين وأنهم أخذوا عنا كل شىء، من الممكن أن يكون أساسا لهذه الحضارة.

* والإسلام لم ينزل الآن لأجل أن يقال إنهم بمجرد أن اعتنقوا الإسلام تخلفوا.

* الإسلام نزل منذ أربعة عشر قرنا وأول من تأثر به أمة متبدية، أمة أمية فى ذلك العالم، وبعد ذلك قادت أمما متحضرة.

* قادت الفرس وقادت الروم وحكمتهم بنظام اسمه النظام الإنسانى الراقى.

أمة لاتعرف إلا البدو والقبيلة ورب الأسرة، ومع ذلك جاءوا بالقوانين التى حكمت الدنيا على اختلاف حضارتها واختلاف أجناسها وعلومها، ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل انتصار الإسلام فى هذا الظرف على جناحين (جناح شرقى فى فارس، وجناح غربى فى الروم) وهما أمتان كانتا متحضرتين فى العالم، ومع ذلك حينما رأوا ما جاء به الإسلام من نظم تحكم قضية الحياة، وتدير سياسة الدنيا، تهافتوا هم على هذه الحضارة، وهم الذين جذبوها إليهم، ولذلك قوى الإسلام بقوتين: قوة

اندفاع من معتنقيه، وقوة الجذب من طالبيه.

فانتشر الإسلام، وهذا هو الجواب على تعجبهم، كيف انتشر الإسلام من أمة متبدية متفرقة، أمة ليس عندها شيء من الحضارة، ولاحظ لها من التقدم ومع ذلك فى هذه الفترة الوجيزة سادت فى نصف قرن؟

* نقول لهم لأن القوتين كانتا تعملان بإخلاص (قوة الاندفاع من معتنقيه، وقوة الجذب من طالبيه).

* وبعد ذلك تدخلت الأهواء، وتصادمت الصراعات وكل شىء يتدخل فيه الهوى تتدخل السماء لتمنعه لئلا يجعل هوى تابعا لهوى.

لأن ذلك سيؤدى إلى صراعات القوى، وصراعات القوى تؤدى إلى تهافت الأقوياء، وتهافت الأقوياء لايخدم المجتمع بحال.

لأن القوة هذه، تقاتل القوة المقابلة لها، فالقوى تتفانى وتتصارع وتتداخل فى بعضها.

فيريد الله أن يعصمنا من الأشياء التى للهوى مدخل فيها، فيشرع لنا ما يعصمنا من الهوى والزلل، ويريد أن يطلق يدنا فى كونه لنأخذ أسراره من كونه، ونستفيد منها، فأباح لنا ماتهدينا إليه التجربة لنفعله.

* وإذا مانظرنا إلى هذه القضية وجدناها تخدم قضية أخرى.

* هذه القضية الأخرى، هى أن من الأشياء التى عابوها على ديننا أنهم يقولون إن الإسلام يمنع ابتكار الأشياء المفيدة، وخاصة فى الأمراض التى تنهى داءات البشر، وتنهى آلام البشرية، بما ابتكرت وبما اكتشفت، وبما اخترعت وينكرون مجهود العلماء الذين أفنوا حياتهم

فى ابتكار أشياء تفيد البشرية، وتخدمهم وتسعدهم وتحمل عنهم مشقات العمل لأنها تعطيهم الثمرة بأقل مجهود وفى أقل وقت.

* هؤلاء.. الرد عليهم فى منتهى اليسر، وفى منتهى السهولة، نقول لهم: ماحظ الإنسان من حركته؟.

الإنسان يتحرك فى الحياة، لماذا؟ الإنسان سواء كان مسلما أم كافرا إنه يتحرك فى الغاية الأولى لنفع نفسه أساسا لاستبقاء حياته، وثانيا لنفع من يعوله أيضا، ذلك أول شىء يطلب من الحركة.

* فإذا مافعلت للإنسان شيئاً أصبح فعلك له لتأخذ الأجر والذى فعلت له.. ما مقصده؟

* مقصده أنه لايقدر على الحركة، فجاء بك لتتحرك له هذه الحركة، ومادام لايقدر على الحركة وجاء بك لتتحرك له هذه الحركة، فلابد أن يكون ذلك أمرا نافعا له.

* إذن فحركتك إما نافعة لك يامتحرك أو نافعة للغير، هذا الغير الذى ينتفع لماذا أعطاك هذا الأجر؟ لأنك فعلت له، أفعلت له أم فعلت لنفسك أولا؟

أنت فعلت لنفسك لتأخذ الأجر، ولماذا أعطاك هو الأجر؟

* إذن قضية الأجر إما أن تكون عند الفاعل المباشر أو أن تكون عند المفعول له. فالاستفادة من الطرفين المخترع والمبتكر والمستفيد من الاختراع والابتكار. إذن فلا يعقل أن يمنع الإسلام ابتكار الأشياء مادام فيها نفع للجميع.

الاعتراض من خصوم الإسلام بأن أمم الإسلام الآن أمم متخلفة.

وقلنـا إن الإسلام لم يجيء حـديثا، فبمجـرد أن اعتنقتـه هذه الأمـم تخلفت.

ولكن الإسلام جرب فى الحياة.

وانطلق انطلاقـات من أمة متبديـة لاحظ لها من علم، ولاحـظ لها من ثقافـة ولاحظ لها مـن حضارة، ومع ذلـك أمكنها أن تحيـط بحضارتين متعاصرتين.

إحدى الحضارتين كانت فى الفرس.

والحضارة الأخرى كانت فى الرومان.

وقلنا إن الإسلام يعطى جوابا عـن ادعائهم فى أنه انتشر هذا الانتشار فى هذه المدة الوجيزة.

وعلمنا ذلك بأن الإسلام كان مدفوعا بقوة مؤمنة تحاول أن تنشره فى العالم.

وأيضا كان مجذوبا بقـوة أخرى، هى القوة التى كانـت تئن من وطأة الأمم التى كانت تحكمنا، بعيدة عن ماهية الدين.

فإذا أردنا أن ننظر إلى القضية بنظرة ذاتية إيمانية، يجب أن نتوجه إلى المسلمين أنفسهم فى هذا الوطن لنعلمهم أن واقع المسلمين كمسلمين خذل قضية الإسلام بالذات لأنهم جعلوا من حال المسلمين حكما على الإسلام.

ومنطق العدل يجب أن تعـدل بين الإسلام كدين لـه مبادئه، وبين من يدعى أنـه نُسب إلى الإسلام وهو مسلم، لأن أى دين إذا اعتنقـه أحد، فقد يُـحكم على من يعتنقه بأنه طائع، وقد يُـحكم عليه بأنه عاص، فلا تأخذ من عصيان العاصين لدين اعتنقوه ولم يلـزموا أنفسهم بتطبيق مناهجه

ومبادئه.. فلا تأخذ من تصرفاتهم هم حكما على الإسلام.

ولذلك فإن الذين يأخذون هذا التصرف للحكم على المسلمين يكونون صادقين فى قولهم إننا أمم متخلفة. هم مسلمون متخلفون.

ولكن الإسلام كدين ليس متخلفا، نحن لو نظرنا نظرة حقيقية لوجدناهم تخلفوا لأنهم لم يكونوا مسلمين.

إذن فالتخلف لم يكن نتيجة لأنهم مسلمون.

إنما التخلف نشأ لأنهم لم يكونوا مسلمين

بدليل أنهم حينما كانوا مؤمنين كما عرفناهم فى الصدر الأول، كان دينهم هو الغالب.

التنوير.. من التسلط الكنسى.. ظلما إلى الإسلام

وبدليل أننا وجدنا الحجة للإسلام فى أن أوروبا حينما كانت الكنيسة تسيطر عليها، وتقبض بيد من حديد على حركة كل مفكر، فلا يمكن أن يفكر العلماء فى فكر معملى مادى، وكم شُنق أناس، وكم عُذب علماء فى سبيل البحث والفكر، ولذلك كانت النتيجة الحتمية أن الفكر خُنق وأن العلماء اضطهدوا، مما جعل المفكرين يبتعدون عن هذه المسألة، وكان من نتيجة ذلك أن وُجد عهد اسمه العهد المظلم.

فلما كانت الثورات ضد الكنيسة، ووُضعت الكنيسة موضعها الطبيعى، وجعلت سلطة البابا لا سلطة لها على مثل هذه النشاطات العلمية والفكرية، ابتدأت أوروبا ترتقى.

فلما ارتقت أوروبا، جاء الذين يكرهون الدين، لم يقولوا إن الكنيسة

كانــت تسيطر على العلم وعلى العلماء، ومن هنــا نشأ التأخر.. لم يقــولوا هذا.

وإنما قالوا إن الدين معوق للحضـارة.

إذن حملوا الدين وزر الكنيسـة.

فلما حملوا الدين وزر الكنيسة ساد عنـدهم أن الدين معوق للحضـارة بدليـل أن الدين حينما كان مسيطـرا، أى أن الكنيسة مسيطرة، تـأخرت أوروبا.

فلما عُزلت الكنيسة عن حركة الحياة ارتقت أوروبا.

أخذوها قضية عامة فنقلوها من سلطة البابا وسلطة الكنيسة إلى الدين نفسه.

رجال الدين المسيحى لقنوا هـذا المفهوم إلى المستغربين (الذين عشقوا الغرب) من أبنائنا، ونشروه بواسطة أبـواق الإلحاد، وقالوا إن الدين هو سبب التخلف، المسلمـون الذين «استغربوا» أخذوا قضيـة الدين على أنها سبب التخلف.

أخذوها من واقع أوروبا آنذاك، مـن الواقع الموجود هناك، من سلطات الكنيسة، من سلطات البابا وقهر العلماء.

وبعد ذلك نقلوها نقلا من المسيحية، وبعد ذلك نقلوها نقلا على أنها من الــدين، ثـم عممـوها تعميما فى كـل ديـن، مما يـدل على أن أبـواقها مـن المستغـربين أخذوا قضـايا ورددوهـا على الناس دون أن يكـون عندهـم خميرة دينية.

فلا يعرفون ما هو الدين.

كانــوا يعتقدون أن الــدين مجرد طقوس عبــادة، كالصـــلاة والصوم والزكاة والحج، وتنتهى المسألة.

ولم يفهمــوا أنه نظــام كامــل لقيادة حــركة الحيــاة فلما سمعوا ذلــك الكلام، جاءوا هنا ورددوه فأصبحت القضية أن الدين يدعو للتخلف.

نقول لهم: (لا).

أنتم مخطئون فى هــذا، الدين لا يدعو مطلقا للتخلــف،حتى المسيحية لا تدعو للتخلف، هـــى صحيح جاءت بالشحنة الروحيــة، لم تقل إنى أضع نظاما لهذه الحركــة، إنما جاءت للعنصر المفقود، وهو المسألة الــوجدانية الدينية والروحية فقط، إنما المسألة المادية كانت موجودة قبل ذلك فى عهد قــريب.. عهــد اليهوديــة فلما جــاء الإسلام وجـد أن الدينين (المسيحيــة واليهودية) متباعدان ومتعاندان، فكــان لابد أن يجىء الدين الذى يجمع الأمرين فى كتــاب وهو القرآن، للفصل فى الأمور الأهوائيــة، يعصمنا من اضطرابنا فيها والأمور الأخرى يطلق أيدينا فيها.

والدليل على ذلــك أن العلماء الأوائل الذين فهموا دينهــم، وفهموا لفتة الديــن إلى العلم التجــريبى، اللفتــة التى سبقــت الدنيــا كلها. هــذه اللفتة القرآنية التى تقول ﴿**وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾.

المنطــوق أننا نــرى آيــات كثيرة فى السمــوات وفى الأرض ونمر عليهــا بإعراض.

إذن يكون المراد ماذا؟ المراد هو أننــا لا تمر علينا آية فى السموات أو فى الأرض، إلا ونفكر فيها ولا نمر عليها معرضين، فهــذا اللوم من الله علينا لإعراضنــا عن آيــاته، لأنــك لو تــذكرتها وتــأملتها ووضعتهــا موضـــع

الملاحظة القوية والتجربة الشاملة.. من الممكن أن تستفيد منها فائدة تعينك فى ترف حياتك، أو ضروراتها، وهذه الآية هى التى يبنى عليها أساس العلم التجريبى.

فمثلا ملاحظة ظاهرة فى الكون. هذه الملاحظة ملاحظة مستديمة، فإذا ما لاحظتها تبتدىء تجرب عليها، فإذا ما جربت عليها انتهيت إلى قضية تخدم بها الدنيا.

الذى اخترع الآلة البخارية وأراح الناس كثيرا من المتاعب، من أى شىء أخذ هذا الاختراع؟

إنه أخذ هذا الاختراع من ملاحظته لقدر به ماء يغلى من النار التى تحته. فلاحظ أن غطاء القدر يرتفع من شدة البخار ويهبط، ففكر فى نفسه وقال لماذا لا نستغل قوة البخار فى تحريك آلة بخارية؟!

وفعلا صنع الآلة البخارية (القطار) من ملاحظته البسيطة التى أعمل فيها فكره وصارت تتطور من حال إلى حال أحسن وأفضل.

وإذا بحثنا فى الغواصات التى تغوص فى البحر، نجدها أنها اخترعت من ملاحظة بسيطة، وكذلك السفن التى تسير كالأعلام (الجبال) وتحمل حمولات ضخمة، هذه الملاحظة البسيطة هى أن المخترع لما نزل الحمام لاحظ أن ماء يفيض من الحمام على الجوانب، ففكر وقال لماذا حينما أضع نفسى فى الحمام يفيض هذا الماء؟

فأخذ يفكر فلاحظ أنه حينما ينزل الحمام يزيح قدرا من الماء، الماء الذى أزاحه وفاض على الجوانب بقدر حجمه وليس فى وزنه، فعرف أن هناك علاقة بين الوزن والحجم، فحينما يأتى بقطعة من المعدن ويرميها فى الماء يلاحظ أنها تغطس فإذا أطرقها طرقا وصنع منها صفيحة كبيرة

ورماها فى الماء لاحظ أنها تعوم مع أن الوزن واحد، ولكن الحجم مختلف.

إذن أى سفينة تجرى فى الماء يصير الغاطس منها يزيح مقدارا من الماء بقدر حجمه، ولذلك كلما تزيد فى حمل السفينة تغطس فى الماء.

ومن هذه الملاحظة البسيطة اخترعت السفينة والغواصة.

إذن فالله حينما يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ أى وكثير من الآيات يمرون عليها وهم عنها معرضون، لم يتدبروا ولم يلاحظوا ولم يتفكروا.

ولذلك فكل العلماء الذين تكلموا فى العلم التجريبى يقولون إننا نبحث فى استنباط أسرار الله فى آياته لأن الله له آيات مكتوبات وهو القرآن، وله آيات فى الكون، هذه الآيات فى الكون آيات منظورة وهذه الآيات فى القرآن آيات مكتوبة، فنحن نريد أن نطبق ما نجده فى القرآن من آيات مكتوبة على ما نشاهده فى الكون من آيات منظورة.

إذن فالإسلام هو أصل لذلك كله، ومن هنا نستفيد فائدة أخرى، وهى أن حال المسلمين منسوب إلى الإسلام قبل قضية الإسلام فى عصرنا، لأن السطحى منهم فى الفكر ينظر إلى المسلمين، وأهل الفكر منهم ينظرون إلى الإسلام بعيدا عن المسلمين وواقعهم الحالى، لأن أهل الفكر يقولون: مادام الإسلام منهجا فهو عرضة لأن يطاع وأن يعصى.

فأنا لا آخذ من سلوك المسلمين الحكم على الإسلام، لأنه ربما يكونون عاصين. فمثلا إذا رأيت من يشرب خمرا أأعيب الإسلام بسبب سلوك فرد ينتسب إليه؟ نقول له هل الإسلام حرّم شرب الخمر أم لم يحرمه؟

طبعا حرمه، وجعل له عقوبة وهى الجلد، هل جلدناه؟ ألم نجلده.؟

إذن المسألة ليست مسألة مبدأ، إنما المسألة دخلت نطاق معتنق مبدأ لم يطبق.

وهذه هـى الخيبة، وهـذا هو السبـب فى أن الرســول «صلى الله عليـه وسلم» يحذر المسلمين مـن أن يتهاونـوا فى شىء مـن أمور دينهـم. لأن تهاونهم فى شعرة فى أمـور دينهم، سيكون ذلك سببـا فى إيجاد فجوة لمن يريد الكيد للإسلام.

يقول الرسول «عليه الصلاة والسلام»: (كل منكم على ثغرة من ثغور الإسلام فليحذر أن يؤتى الإسلام من قبله).

إذن فكل واحد من المسلمين فى موقف يسد ثغرة، فإذا ما رأوا أى مسلم مهمل فى أى عمل نفذوا من ذلك للكيد للإسلام.

فكذلك هم نظروا إلى المسلمين فوجدوا ثغرات فدخلوا على الإسلام من ثغرات المسلمين.

وجدير بـالمسلمين أن يحافظوا على فرائض الله فـلا يضيعوها، وعلى حدود الله فلا يعتـدوها، وعلى منهج الله فلا يهملوه، حتـى لا يشمت بنا الأعداء، ولا نفتح لهم ثغرة ينفذون منها للنيل منا ومن ديننا.

ولاريب أن إعراض المسلمين عن منهج اللـه عطل دخول الناس فى دين الله، وشوه صورتهم أمام الأعداء والكائدين.

رد على شبهات الملاحدة حول القرآن

الفصل السابع

من مصلحة المسلمين لصالح إسلامهم أن يعرضوا على من يتولون تربيتهم وتنشئتهم الفكر المناهض للإسلام حتى لايدعوا فرصة للفكر المهاجم أن يهاجم من خلفهم، لأنه إن هاجم من خلفهم، هاجم بشراسة وهاجم وليس مع أولادنا دليل نقده.

وقلنا إن هذه القضية نصنعها نحن فى أمورنا المادية حين نتخوف على أبنائنا مرضا من الأمراض القاتلة، وقبل أن يأتى إليهم بشراسته، نأتى بالميكروب ونضعه فى درجة خامدة حتى يربى فى الجسم المناعة إن جاء هذا الميكروب يستطيع بالدواء والرياضة أن يقف أمام هذا الداء.

وكثير من الناس يلتمسون أن يذكروا ذلك لأبنائهم وهم يحاولون بذلك إبعادهم، وتلك ميزة أولى ولكن ليس من الممكن أن نحجب عن الناشئة الآثار التى يعلمون بها من وسائل متعددة.

فوسائل الإعلام الآن، وسائل شتى ولم تعد تقتصر على أقوال الآباء وأقوال الأمهات ولامنهاج الدرس، بل هناك وسائل متعددة فإن احتطت

ألا تجد هذا الوافد على آذان ابنائك الذين تقوم بتربيتهم فـإنك لاتستطيع أن تمنع الوافد من سواك.

وقلنا إن ما تعرضت له الرسالة التى وصلتنا أيضا أنهم يقولون: إن القرآن الذى يرفعونه إلى مرتبة التقديس، وأنه من الإله الحكيم، وهم يقولون ليس من الإله فى شىء. لأن الإله لايمكن أن يتضارب قوله، والقرآن متضارب فى كثير من آياته، وعرضوا عشر آيات ظاهرها التضارب لأنهم يعرضونها بغير فهم للغة العربية، وبغير رياضة العربى ذى الملكة الذى يفهم الأسلوب ويفهم مرادها فأول ما عرضوا عرضوا قضية قول الحق سبحانه وتعالى ليشككوا فى القرآن ذاته، وهى ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾.

سفر البرهان فى متناقضات القرآن

فقالوا تلك قضية قرآنية، والمخطوط الذى تعرض لمثل هذا اسمه (سفر البرهان فى متناقضات القرآن).

فقالوا إن القرآن يقول ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ثم يشككون فيقولون إن محمدا قال آية اخرى تناقض هذه الآية هى ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾.

فهؤلاء معذورون لأنهم لم يتمارسوا بفهم الأسلوب العربى.

أو هم فاهمون ولكنهم يحاولون أن يدخلوا على الناس براهين واهية، لأنهم سيخاطبون ناشئة قد لايكون عندها بصر بأساليب اللغة.

نقول لهم: لاتضارب لأن الإسلام دين ذاتى بمعنى أن الإنسان لا

يعاقب إلا عن فعل فعله باختياره غير مكره عليه، فى زمن يكون التكليف فيه موجودا، ومعنى التكليف فى بلوغ العاقل، وله شروطه الخاصة مما يدل على احتياطات التشريع الإسلامى فى قضية الجزاء أولا، لايكلف إلا عند نضج عقله، واستكمال البنية الإسلامية فى البلوغ.

والبلوغ له ظاهرة جنسية عارمة، فربما لم تكن عندى حين تعاقدت على الإيمان، وتبدأ فى جسمى الأشياء تنضج، والنضج فى كل شىء هو أن يقدر الانسان بذاتيته أو الكائن الحى بذاتيته.. هذا هو النضج.

ولذلك قلنا سابقا إن من رحمة الله بنا لأجل بقاء الأنواع التى تخدمنا أن الثمار التى نأكلها هى فى أصل تكوينها لحماية البذرة التى تنبتها الشجرة، ولاتنضج وتكون حلوة مشتهاة ولذيذة إلا إذا تم نضج البذرة فيها.

فأنت مثلا إذا شققت بطيخة إن وجدت بذرها أبيض تجدها غير حلوة، لماذا؟

لأن البذرة التى تنضج منها لم تتم، لكن إذا وجدت بذرتها سوداء دل ذلك على نضجها، وأى شىء قد قطف لتأكله إن وجدت بذرته تنضج أصبحت حلوة فى أكلها.

إذن حمى الله بقاء النوع بأن الثمرة لاتحلو لمقتطفيها إلا إذا نضجت، كذلك الإنسان لايمكن أن ينضج الا إذا كانت عنده القدرة الذاتية على إبقاء نوعه (يعنى البلوغ) فهذا هو أحد أنواع التكليف.

وأن يكون مختارا.. فإذا أكرهته قوة أقوى منه على الفعل يرفع عنه

التكليف.. انظر إلى الضمان الإسلامى لعدالة الجزاء.. وتكون أداة الاختيار عنده بين البديلات سليمة.. ويكون عاقلاً.

فمادام عنده هذا الاختيار لأجل أن يرتب الجزاء، يكون معناه أنه محل للعدالة.

ومادام محلا للعدالة، فيكون من أول الأمر.. إننى لم أحمله وزر سواه، وأن يشترط فيه هو نفسه أشياء ولذاته لأجل أن أضمن له عدالة الجزاء. قال له الإسلام: لاحظ أن أعمال الإنسان فى الوزر الذى نفعله صحيح، ولكن الوزر الذى يفعله قد يظهر أنه فعله فى غيره، فالذى يضل بذاته من غير أن يتعدى ضلاله إلى الغير ولكنه حين يريد أن ينقل ضلاله إلى الغير، ماذا عمل؟

عمله أنه ضل ذاته، وعمله الآخر أنه حاول إضلال غيره، فحين يحاول إضلال غيره، فهذا عمل جديد فى أنه أضل الغير.

فهناك فرق بين وزر الضلال ووزر الإضلال.

إذن هم غير فاهمين ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)، لماذا؟

لأن معنى سن، قدوة منظورة.. ومادامت قدوة منظورة فى السيئة، إذن هو الذى دفع بسلوكه غيره لفعل السيئة.

ولذلك أمر الإسلام بستر بعض الجرائم فى التشريع الإسلامى لأن الإسلام حرم إشاعة الفاحشة لأننا لو أشعناها فتصير أسوة.. فيواريها

ويقول لك استر، فأنت لاتقدر على كشف عيوب الناس.

أما الذى يتبجح فى الجريمة فهذا شىء آخر.

إذن لاتوجد الأسوة بالسيئة لأنها لو وجدت الأسوة، فمن الذى صنعها، وجعل الناس متأسين بها، صاحب السيئة هو الذى أوجد القدوة السيئة.

فالمسألة منقوضة لأن هناك فرقا بين إضلال الغير، وإضلال الإنسان نفسه.

هذا هو البند الأول من كتاب «سفر البرهان فى متناقضات القرآن».

وبعد ذلك يعرض قضية أخرى (عقوق الأبوين)، وما هو العقوق الأبوى؟

يقول صاحب الكتاب إن القرآن يحض على أن يعامل الناس آباءهم معاملة قاسية، كيف؟

فعرض آية ﴿لاَ تَجِدَ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ فقال هذا يمنع الأولاد «ود» آبائهم. بينما يأتى فى آية أخرى ويقول ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

فكيف يقول مرة ﴿لا تَجِدَ قَومًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾، وبعد ذلك يقول ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

والرد عليهم: وماذنبنا نحن إذا كان الذى يتكلم فى أسلوب القرآن لايفهم العربية، لا بطريقة الملكة ولا بإتقان الصنعة؟!

نريد أن نعرف منك فى لغتك ما هو الود أولاً، وما هو المعروف ثانيا؟

الآيتان لم يردا على شىء واحد، لم يأت الود فى الآيتين، بشىء واحد، وإنما جاءت كلمة الود فى آية، وكلمة المعروف فى آية أخرى.

نفهم معنى كلمة المعروف.

لو أن الآيتين تواردتا على لفظ واحد لكان من الممكن أن يقال إن القرآن متناقض.

إنما الآيتان كل آية أتت بلفظ يخالف الآخر.

الأولى بلفظ الود، والآية الثانية بلفظ المعروف.

فما هو الفارق بين الود والمعروف، ابحث عنهما؟!!

* الود حب القلب، وحب القلب. يدعو إلى انجذاب القالب (الجسم).

* لكن المعروف ليس هو الحب.. المعروف بذل القالب، والمعروف تصنعه مع من تحب ومع من لا تحب.

* فالممنوع من الآباء أن يكون لك ود خالص إذا كانوا كافرين، ولايمنع أن تكون صاحب معروف للأب الكافر ومن الممكن أن تكون صاحب معروف حتى على أعدائك.إذن الممنوع هنا الود، لأن الود عملية قلبية.

والمأمور به هنا المعروف يكون مع من تحب ومع من لاتحب.

ولذلك الـود القلبى يترتب عليه المعروف، لكن المعـروف لايترتب عليه الود القلبى، بدليل أن وقائع الإسـلام كثيرة تدل على ذلك مثل قصة سعد بن أبـى وقاص مـع أمه، حينما أسلم، حلفـت أمه أنها لاتـأكل ولاتشرب ولاتغتسل ولاتقوم من الشمس حتى يعود إلى الكفر.

فقال لقومه حينما شكوا إليه حالها: دعوها.. فإن أذاها القمل اغتسلت، وإن عضها الجوع أكلت، وأن أصـابها الظمأ شربت، وقال لها: يـا أمى لو أن لك مـائة روح ثم فاضـت منك روحـا روحا على أن أترك ديـن محمد ماتركته، كيف تغلب سعد على هذا الأمر، ما الذى صنعه؟

إنه الإيمان..

الملحدون يقولـون إن القرآن الذى يسمونه قـرآن محمد سيتعرض إلى قضية كـونية، ماكان أغنـاه أن يتعرض لها، لأنها ليست مهمـة فى قضية الدين، ولكن شـاءت إرادة الله، وشاءت ربوبية المسيح -هكـذا قالوا- أن يوقعه فيها حتى تكون حجة عليه.

وقالوا إن القرآن حين يتكلم عـن خلق السموات والأرض يقول إن الله خلقها فى ستة أيام، فكل آية من آيات الإجمال فى القرآن تدل على أنه خلقها فى ستة أيام، هذا يعطينا أن خصوم الإسلام يدرسون الإسلام، ويعملون له الإحصائيات التى يستطيعون بها أن يعلنـوا أنهم لم يقولوا ذلك إلا عن دراسة، ولينفذوا إلى أشياء ربما لم ينفذ إليها الكثير من المؤمنين بالقرآن، لأن المؤمنين بالقرآن حين يقرأون القرآن يقرأونه بقداسة، لأنه كلام الله، والسماع للقرآن بقداسة على أنـه كلام الله، يسد منافذ النقـد، لأنه مؤمن أن كلام الله حق وصدق، وهو فوق النقد.

* تمرُّ على المسلم الآيــة وهو يقرأ فيقــول إن لله مرادا فيهــا، ولاداعى للبحث، ولذلك فإن كثيرا من خصوم الإسلام هم الذين نبهوا المسلمين إلى جمال قضايــا الإسلام، لأن بحثهــم عن هذه الأشيــاء مقصود للــه، ليقع الحاســدون من الكفــار فى عدم فهمهــا، فيتصدى المؤمنــون للرد عليهــم لتنويرهم وفى نفس الوقت يهتدى المؤمنون للرد عليها، كما قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت ∴ أتاح لهـــا لســـان حسود

فالحسود هــو الذى ينبه على الفضيلة أما غير الحسود فــلا يتنبه لمثل هذه الأمور التى أثارها الملحدون ضد القرآن.

* إذن ما وقع فيــه أهل الكفر والإلحاد من عدم الفهم لقضـــايا القرآن، شاء الله ذلــك ليمد أهل الإيمان بالــردود القاطعة عليهم، ومــن هنا يبدو جمال القرآن.

يقول الملحدون عــن الآية التى تتعلق بخلــق الأرض، وآيات الإجمال فى القرآن كلها تنــص على أن الله خلق السموات والأرض فى ستــة أيام وهذا يبين لنا أنهم أحصوا واستقرأوا وفى القرآن آية قالوا عنها بلغة «فضحهم الله» إنها فضحــت محمدا، هذه الآية قــوله سبحانــه وتعالى ﴿قُلْ أَئِنَّكُم لَتَكْفُرونَ بِالــذِى خَلَقَ الأرضَ فى يَوْمَينِ وَتجْعَلونَ لَــهُ أَندَادًا ذَلكَ رَبُّ العَالمَين، وَجَعَلَ فيهَا رَوَاسىَ منْ فَوْقهَا وَبَارَكَ فيْهَا وَقَدَّرَ فيهَا أَقْوَاتهَا فى أَرْبَعَةَ أَيَام سَوَاء للسَائلين، ثُمَ اسْتَوى إِلىَ السَّمَاءَ وَهىَ دُخَانٌ فَقَالَ لهَا وَللأَرْضِ ائتيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَــالَتا أَتَيْنا طَائعينَ، فَقَضَاهُنّ سَبْعَ سَمَوات فى يَوْمَينْ..﴾

ووضعوا تحت كلمة (يومين) خطين، وجعلوا تحت (أربعة أيام) أربعة خطوط.

وقالوا الذى لا يعرف القراءة، فلينظر إلى الخطوط، إذا جمعنا أربعة زائد اثنين فيكون المجموع ستة أيام.

وقد قضى السبع سموات فى يومين فيكون مجموع الأيام التى خلق فيها الأرض والسموات ثمانية.

إذن محمد سها عن أصل العدد، فلما جمعنا هذه الأيام فى آية التفصيل وجدناها ثمانية أيام، وكل آيات الإجمال تقول إنها ستة أيام.

فأى الآيات نصدق يا محمد؟

هذا ما زعموا وما افتروا على محمد عليه الصلاة والسلام.

الرد عليهم :

نقول لهم إنكم لم تفهموا معطيات القرآن، لأن القرآن نزل باللسان العربى الفصيح، لا أقول كل جملة لها مراد ومعان، بل أقول كل حرف، فالحس العربى فى ذاته يستطيع أن يصل إلى المعلومة القرآنية التى جاء القرآن بلغتها، لأن العربى حين يقرأ القرآن بملكته يستطيع أن يضع اللفظ فى مكانه المناسب وإن لم يكن منقوطا، لأن القرآن قبل ذلك غير منقوط، تستوى فيه نبرة الباء بنبرة النون بنبرة الياء بنبرة التاء، تُقرأ على نبرات عديدة، ومع ذلك كان العربى بملكته يفرق بين النبرات.

إذن لو أننا جئنا بكتاب يجمع القرآن غير منقوط ثم عرضناه على غير متمرس باللغة العربية، لا يستطيع أن يقرأه، إنما العربى متمرس

بالقــراءة.. فإذا قرأ القــرآن، فإن الســيــاق يهديه إلى الكلمة فينطقهــا نطقا صحيحا ويمكنه أن يفرق بين الحروف المنقوطة أهــى تقرأ ياء أو نونا أو تاء.. لما عرضوا القرآن غير المعجم يعنى غير المنقوط قال القارىء فى قوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ﴾ فقرأ (أساء) أساء بالسين لا بالشين، والمعنى لا يبعد كثيرا، مما يــدل على أن الملكة العربية تستطيع أن تقرأ اللفظ وإن لم يكن منقوطا بما يحكمه السياق القرآنى، لكن كلمة أساء أعطت معنــى لكنه غير مقصــود، لأنها لو قــرئت أساء بــالسين وصارت أساء لكان المعنى أن عذاب الله يصيب كل مسىء، لكن كلمة (أشاء) تعطى معنى آخر وهو أن الإنســان قد يكون مسيئا ولايشاء الله أن يعـذبه، لأنه قد يكون تاب، وقبل الله توبته وغفر ذنوبه.

وقرأ أحدهم قول اللــه تعالى صبغة قرأها ﴿صنعة الله ومن أحسن من الله صنعة﴾ والمعنى واحد بالنون أو بالباء.

إذن فالقرآن لأنه أسلوب عربى يستطيــع العربى بملكته وبطريقته أن يهتدى - إن لم يكن على المقصود- يقع قريبا من المقصود.

* ولذلك كان يعرف الكاتب العربى من غير الكاتب العربى، بأن الكاتب غير العربى ينقط ويشكل، أما الكاتب العربى فيقول لو أنى شكلت كتابى إلى المكتوب إليــه، فقد أســأت الظن بــه، بمعنى أنــه لا يعرف أن يقــرأ إلا المنقوط والمشكل.

ولذلك قلنا إن الذين ألفوا الكتابــة العربية اعتادوا على ذلك لأن العربى يستنكف أن يزود لغته ويعمل قواعد، لأن هذه مسألة لا تحتاج إلى تدوين ولا أى شىء، لأنه عرف بملكته أن يقرأ غير المنقوط وغير المشكل.

ونعود إلى آيات الإجمال والتفصيل فى خلـق السموات والأرض لنثبت أنه لا تناقض بين الإجمال والتفصيل، لأن العربى يستقبل بحسه وملكته آيات القرآن فيفهمها ولا تناقض فيها.

ويمكننا أن نقول ردا عليهم: إذا وجدت إجمالا ثم وجدت تفصيله، فكل تفصيل يحمـل على الاجمال إلا إجمال العدد وتفصيلـه المجمل هـو الذى يحمل على الـذات، المفصل يحمـل على المجمل، كيـف؟ لأن الأعداد يمكـن بالتداخل أن يصل المفصل إلى المجمل، إنما المجمل لا يمكن أن نفصله.

وإذا طبقنا هذه القاعدة على الآية لـوجدنا أن قول الله تعالى﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَـهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِلسَّائِلِينَ**﴾.

فقد خلق الله الأرض فى يومين وجعـل فيها رواسى أى الأرض، وقدر فيها أقواتها أى الأرض.

إذن كلمة أربعـة أيام المخلـوق فى أربعة أيام ليس ابتداء شـىء ولكنه تكملة شىء فجعل الرواسى والأقوات تكملة لخلق الأرض.

إذن الأربعة أيـام لم تكن لإنشـاء أى شىء جـديد، وإنما لتكملـة خلق الأرض.. فالتمام جعل فى السماء.

ولنضرب لذلك مثلا، أخطأت مرة وقلت أنا سرت بالسيارة من القاهرة إلى طنطا فى ساعة، وإلى الاسكندرية فى ثـلاث ساعات، وإنما قطع المسافة من القاهـرة إلى الإسكندرية فى ثلاث ساعـات، فالساعة التـى قطعها من

القاهرة إلى طنطا داخلة فى الثلاث ساعـات، وليست خارجة عن هذه المدة الزمنية.

وعلى هذا نفهم الآية على أن خلق الأرض فى يومين داخل فى الأربعة أيام التى هى مدة تتمة خلق الأرض فتكون المدة أربعة أيام، واليومان داخلان فى الأربعة فلا يحسبان مرتين، إذن فالمدة أربعة أيام.

أما قول الله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوات فِى يَوْمَيْنِ..﴾ فيكون قد ضم الاثنين إلى الأربعة ويضم لهم الاثنان الأوليان.

فإذن يكون العدد ستة أيام وبذلك تكون آيات الإجمال اتفقت مع ايات التفصيل وبذلك ينتهى الإشكال.

* فلـو كان فى الآيـات تناقـض كما تقولـون لسهل على القـوم الذيـن ملكتهم عربيـة ونزل القرآن بلغتهم، وتحداهـم القرآن، وتحدى ملكتهم، فلو كان فى الآيـة كما تقولون تناقض لسهل عليهـم أن يردوا على محمد ، وأصروا على كفرهم وعنادهم ومعارضتهم.

فلو كـان هناك خلل فى القرآن كما يـدّعون لكانـوا هم أول المستنبطين للخلل. ومع ذلـك لم يحدث ذلك مع أن الله أبقى كثيرا من صنـاديد الأمة كافرين وقـد شحذوا كل جهودهم للتحدى، ومـع ذلك لم يستدركوا على القران آية من الآيات.

* ولو أن فى القـرآن آية مستدرك عليهـا بالتنـاقض لنادى أهـل الكفر بأعلى صـوتهم، وقالوا يا أهـل اللسان العربـى.. يا أهل الفصاحـة.. هذا محمد جاء بالقرآن ليتحداكم به، فى حين أن فيه كذا وكذا من التناقض!

* إذن فالعرب ما أمكنهم أن يأخذوا على القرآن أى مأخذ.

* فإذا كان فى زمن العرب الذين كانوا يتكلمون العربية سليقة وفطرة، لم يستطيعوا أن يجدوا ثغرة فى القرآن للقدح فيه.. فهل يمكن لهؤلاء المستشرقين الذين لا يفهمون العربية أن يقدحوا فى القرآن ويصفونه بالتناقض؟.

لاريب أنهم لن يستطيعوا ذلك؟.

يقول الملحدون فى قول الله تعالى ﴿ وَالذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ..﴾ أليس فعل الفاحشة ظلما للنفس؟.

فكيف يأتى بعد ذلك بقوله ﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ..﴾ مع أنها واحد (فعل الفاحشة وظلم النفس).

وكذلك فى قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ..﴾ فقد رتب ظلم النفس على فعل السيئة مع أنها واحد.

وللرد على ذلك نقول: إن «أو» تأتى على معنيين: التخيير أو الإباحة.

ومثلا فى قولك تصدق بدرهم أو دينار معناها التخيير، وفى التخيير لا يجمع بين الأمرين.

أما قولك جالس الحسن أو الحسين فهنا معناها الإباحة، لأنه يباح لك أن تجالس الاثنين معا فإذا ما فهمنا الآيات على ضوء ما قلنا فإننا سنصل إلى الفهم السليم.

فقول الله تعالى ﴿ وَالذِيْنَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ..﴾

وكذلك الآية الثانية ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوَ يَظْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَ يَسْتَغْفِرِ

اللّــهَ يجِدْ اللّهَ غَفُــورًا رَحِيْماً..﴾ له دلالتــه ومعطياتــه لأن الذى يفعــل السيئة يحقق لنفسه متعــة عاجلة، وقد ذهل عن المتعــة الآجلة، إنما حقق لنفسه متعة.

وأحيانا الإنسان يلجأ إلى المعصية فلا يحقق لنفسه متعة، ويحقق لآخر متعة، فلا يأخذ متعة المعصية فى ذاتها، ولايأخذ المتعة فى الآخرة، إذن فقد خسر متعة الدنيا والآخرة.

يقول الــرسـول صـلى اللــه عليه وسلــم شرحا لهذه القضيــة وتأكيــدا لأسلوب القرآن (شركم من باع دينه بدنيــاه، وشر منه من باع دينه بدنيا غيره).

فالذى يأخــذ المال سرقة أو نهبا قد حقق متعة لنفســه فى الدنيا وحرم متعة الآخرة.

أما مــن يشـهد الــزور مثلا لإنســان ليأخــذ غير حقه، فقــد حقق للغير متعة.. وبقى هو بلا متعة فيكون قد ظلم نفسه.

الفهرس

	الصفحة
الفصل الأول :	
حوار مع فضيلة الشيخ الشعراوى	
حول العلمانية وفلسفة التنوير	٥
الفصل الثانى :	
تراجع الأنظمة الوضعية	٢٥
الفصل الثالث :	
الرسول نموذجٌ للكمال البشرى	٤٥
الفصل الرابع :	
الحل الإسلامى لقضايا المرأة	٨١
الفصل الخامس :	
الإسلام بين الديكتاتورية والديمقراطية	١٢٣
الفصل السادس :	
قضايا إسلامية	١٤٣
الفصل السابع :	
رد على شبهات الملاحدة	
حول القرآن الكريم	١٧٥

رقم الإيداع ٩٥/٢١٧٦

دار الطباعة الحديثة
أول شارع الجيش – العتبه
تليفون : ٩٠٨٣١٨